جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

بناء المعنى في حديث (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا) وأثره في فقه مقاصده

إعداد

د/ منى طه الداودي محمد

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد

(العدد الثامن والثلاثون)

(الإصدار الثاني .. مايو)

(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

بناء المعنى في حديث (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا) وأثره في فقه مقاصده

منى طه الداودي محمد

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: monamohammed2202.el@azhar.edu.eg

الملخص:

جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مقاصد، تقفوها خاتمة، وفهارس، المقدمة: تناولت فيها الحديث عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، والمنهج المتبع في دراسته. التمهيد وجاء الحديث فيه عن أمرين: أولهما: أهمية المعنى وارتباطه بالدرس البلاغي. وثانيهما: فضل الحديث وبيان مقاصده. المبحث الأول: بناء المعنى في فضيلة الترغيب في الشفقة على خلق الله. ويشتمل على أربعة مطالب: المطلب الأول: بناء المعنى في فضيلة تنفيس المكروب. المطلب الثاني: بناء المعنى في فضيلة التيسير على المعسر. المطلب الثالث: بناء المعنى في فضيلة ستر المسلم. المطلب الرابع: بناء المعنى في فضيلة إعانة المسلمين. المبحث الثاني: بناء المعنى في فضيلة الترغيب فيما يُورِثُ الخشية من الله. ويشتمل على مطلبين: المطلب الأول: بناء المعنى في فضيلة طلب العلم. المطلب الثاني: بناء المعنى في فضيلة مدارسة القرآن. المبحث الثالث: بناء المعنى في فضيلة الترغيب في علو الهِمَّة. خاتمة البحث: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها. ثم الفهارس: وتشتمل على فهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات، وقد انتهج البحث لنفسه المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل النص النبوي الشريف، واستنباط مقاصده، وتبويبها تحت المحاور المذكورة في الدراسة، وإبراز أثر بناء المعنى في فقه هذه المقاصد؛ للوصول إلى أعماق النص، واستنباط أبرز ظواهره الأسلوبية، والوسائل التي أسهمت في بناء المعنى، وتحليلها تحليلًا بلاغيًا لالتقاط ما تنادي عليه من أسرار بلاغية، وإبراز ما ينشأ عن وسائل بناء المعنى من دلالات تُمَثِّل لبنة في فقه المقصد الأعظم للحديث الشريف والغاية منه.

الكلمات المفتاحية: بناء، المعنى، مقاصد، الفضائل، البيان النبوي.

Construction meaning of the hadith (Whoever relieves a believer of a worldly hardship) and its impact on understanding its objectives

Mona Taha Daoudi Mohamed
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls Port Said, Al-Azhar University, Republic Arab Egypt.
Email: monamohammed2202.el@azhar.edu.eg

Abstract:
The research came in an introduction, a preface, and three sections, which stand in conclusion and indexes ,Introduction: It talked about the importance of the topic, the reasons for choosing it, the research plan, and the method used in studying it ,The preface includes: two demands: The first requirement: The importance of meaning and its relevance. The second is the virtue of the Noble Hadith and the explanation of its objectives. The first is to construct meaning in the virtue of inducing compassion to create God. It has four demands: First requirement: Constructing meaning in the virtue of Teafis the microbe. Second requirement: the construction of meaning in the virtue of facilitation. Third requirement: the construction of meaning in the virtue of the concealment of the Muslim. The fourth requirement: the construction of meaning in the virtue of subsidizing Muslims. The second is the creation of meaning, in which we are inspired by the fear of God. It comprises two requirements: First requirement: the construction of meaning in the virtue of seeking knowledge. The second requirement: is the construction of meaning the virtue of studying the Qur'an. Third theme: Constructing meaning in the virtue of desire. Then comes the conclusion of the research: the most important findings. Then catalogues: including an index of sources and references, and another topics The research adopted the analytical approach, which is based on analyzing the noble prophetic text, deducing its objectives, and categorizing them under the axes mentioned in the study, and highlighting the impact of constructing meaning in understanding these objectives; to reach the depths of the text, and deduce its most prominent stylistic phenomena, and the means that contributed to constructing meaning, and analyzing them rhetorically to capture the rhetorical secrets they call for, and highlighting the connotations that arise from the means of constructing meaning, which represent a building block in understanding the greater objective of the noble hadith and its purpose.

Keywords: Constructing, Meaning, Explanation, Virtues Prophetic Statement.

المقدمة

****

بسم الله، والحمد لله، وأُصَلِّي وأُسَلِّم على الرحمة المهداة، سيد المرسلين وإمام الدعاة، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن البيان النبوي أبلغ كلام بعد كلام الله . تعالى .، وأفضل ما تُفنَى فيه الأعمار، وتنشغل به الأنفس آناء الليل وأطراف النهار بعد كتاب العزيز الغفار، كما أن الاشتغال بمدارسته طاعة، والبحث عن أسرار إعجازه خير بضاعة، يزيد بها القلب إيمانًا، والصدر انشراحًا، والعمر بركة، والفؤاد بالحبيب تَعَلُّقًا ومحبة؛ لأن البيان النبوي خرج هو والبيان القرآني من مشكاة واحدة، فأضاء حياة البشرية، وأيقظ فيها معاني الإنسانية، وأضفى عليها نور الهداية الربانية.

ومما لا شك فيه أن الوصول إلى المعنى المراد من البيان النبوي، وفهم مقاصده يحتاج إلى قدر من التأمل والدراسة، والغوص في أعماقه بحثًا عن لآلئه وجواهره، واستخراج كوامنه وأسراره، والسبيل إلى هذا هو دراسة بناء معناه، وتتبع أحواله ودلالاته البلاغية.

والبحث في بناء المعني أكثر شمولًا وعمومًا من بناء الجُمل؛ فبينما تتناول دراسة بناء الجمل النظم والتأليف، تمتد دراسة بناء المعنى بالإضافة إلى النظم والتأليف وتحسس مواطن الحسن والجمال إلى دراسة بناء النص كاملًا، وبيان كيف تشابكت أجزاؤه وعناصره، وكيف توالدت أفكاره ومعانيه، وكيف ترتب بعضها على بعض، واستدعى بعضها بعضا، حتى اشتد ترابط الكلام، وتسلسل بطريقة بديعة، تتميز بدقة النظم، وجودة السبك، وإحكام الصنعة، ولعل هذا ما عناه شيخ البلاغيين بقوله: "واعلمْ أنَّ ممَّا هو أَصلٌ في أنَ يدِقَّ النظرُ، ويَغْمُضَ المَسْلكُ، في توخِّي المعاني التي عرفتَ: أنْ تتَّحِدَ أجزاءُ الكلامِ ويَدخلَ بعضُها في بعضٍ، ويشتدَّ ارتباطُ ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجِملة إلى أن تضَعَها

في النفس وضعًا واحدًا، وأن يكونَ حالُكَ فيها حالَ الباني يَضعُ بيمينه ههنا في حالِ ما يَضَعُ بيَسارِه هناك. نَعم، وفي حالِ ما يُبْصر مكانَ ثالثٍ ورابعٍ يَضعُهما بَعْدَ الأَوَّلَيْن. وليس لِما شأْنهُ أن يجيءَ على هذا الوصفِ حَدٌّ يَحْصرُه، وقانونٌ يُحيطُ به"(١).

ومن هنا يتضح أن طريقة بناء المعنى هي السبيل إلى فقه مقاصد المتكلم، والكشف عن أعماق نفسه، وخفايا وجدانه، وما ينطوي عليه بيانه من معانٍ وأغراض، ودلالات وغايات، تُظهِر سماته الأسلوبية، وطرائقه التعبيرية التي يتميز بها عن كلام غيره، حتى يكون عنوانًا يدل عليه، ودليلًا يرشد إليه.

وقد تناول الحديث الشريف ـ محل الدراسة ـ فضائل متعددة، وأبوابًا للخير متنوعة، وبناء المعنى في هذه الفضائل هو الذي يفسر العلاقات بينها، ومجيئها على هذا الترتيب، وكأن كل فضيلة تدعو أختها؛ لتتحد هذه الفضائل في تكوين صورة متكاملة، وبناء محكم، يستدعي ختامًا شاملًا، ونهاية متسقة مع الغاية من كل فضيلة، ومناسبتها للمقصد الأعظم للحديث.

لأجل ما سبق من أسباب، بالإضافة إلى السبب الأعظم؛ وهو كون هذه الدراسة جزءًا من لَبِنَة في نشر سنة النبي (ﷺ) والتبليغ عنه، فقد توجهت إلى البيان النبوي بدراسة بلاغية عنوانها: **بناء المعنى في حديث: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا) وأثره في فقه مقاصده.**

وقد انتظمت خطة البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، تقفوها خاتمة، وفهارس، أما المقدمة: فتحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، والمنهج المتبع في الدراسة، وجاء التمهيد مشتملًا على

(١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. صـ٩٣ ، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

أمرين: أولهما: أهمية المعنى وارتباطه بالدرس البلاغي. ثانيهما: فضل الحديث وبيان مقاصده.

وانعقدت خطة البحث على ثلاثة مباحث هي الغاية من الحديث الشريف، ويندرج تحتها الفضائل التي جاء البيان النبوي يحث عليها، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: بناء المعنى في فضيلة الترغيب في الشفقة على خلق الله.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: بناء المعنى في فضيلة تنفيس المكروب.

المطلب الثاني: بناء المعنى في فضيلة التيسير على المعسر.

المطلب الثالث: بناء المعنى في فضيلة ستر المسلم.

المطلب الرابع: بناء المعنى في فضيلة إعانة المسلمين.

المبحث الثاني: بناء المعنى في فضيلة الترغيب فيما يُورِث الخشية من الله.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: بناء المعنى في فضيلة طلب العلم.

المطلب الثاني: بناء المعنى في فضيلة مدارسة القرآن.

المبحث الثالث: بناء المعنى في فضيلة الترغيب في علو الهِمَّة.

وقد انتهج البحث لنفسه المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل النص النبوي الشريف، واستنباط مقاصده، وتبويبها تحت المحاور المذكورة في الدراسة، وإبراز أثر بناء المعنى في فقه هذه المقاصد؛ للوصول إلى أعماق النص، واستنباط أبرز ظواهره الأسلوبية، والوسائل التي أسهمت في بناء المعنى، وتحليلها تحليلًا بلاغيًا لالتقاط ما تنادي عليه من أسرار بلاغية، وإبراز ما ينشأ عن وسائل بناء المعنى من دلالات تُمَثِّل لبنة في فقه المقصد الأعظم للحديث الشريف والغاية منه، مع مراعاة الآتي:

أولا: تتبع وسائل بناء المعنى في الحديث الشريف، وإبراز سماته الأسلوبية

ودلالاته البلاغية، وبيان سر إيثارها على غيرها.

ثانياً: تتبع الدلالات البلاغية لبناء المعنى في كل فضيلة، وإبراز تلاؤم معنى كل فضيلة مع مقصد الحديث وغايته، ومدى تناسب الفضائل، وشدة الترابط بين معانيها في الحديث، حتى كأنها أفرغت إفراغًا واحدًا.

ثالثًا: الوصول في ختام الحديث إلى تحديد المعنى المقصود والهدف الرئيس الذي سعى الحديث النبوي إلى غرسه في النفوس، وترسيخه في الأذهان، واتخذ من وسائل بناء المعنى طريقًا إلى تحقيق هذا الهدف.

وختامًا أسأل الله أن يتقبل هذا العمل، وأن يغفر ما وقع فيه من تقصير أو زلل، وأن يجعله تكفيرًا للسيئات، ورفعة للدرجات في أعلى الجنات، إنه الكريم واسع الرحمات، مجيب الدعوات.

كتبته الفقيرة إلى شفاعة الحبيب(ﷺ)

منى طه الداودي محمد

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد

التمهيد

أولًا: أهمية المعنى وارتباطه بالدرس البلاغي

****

المعنى "هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه"[(١)]، وهو الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها اللفظ والصورة الحاصلة في العقل، كما أنه يطلق على ما يقصد بالشيء، ويُفهم من اللفظ ويدل عليه[(٢)].

والفرق بين المعنى والمفهوم: أن المفهوم هو الصورة الذهنية سواء وضع بإزائها اللفظ أم لا، على حين أن المعنى هو الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها اللفظ.[(٣)]

والمعنى هو مقصد المتكلم والغاية من كلامه، والهدف وراء ألفاظه وعباراته، فالسبيل إلى إدراك هذا المعنى هو الألفاظ؛ لأن الألفاظ غير مقصودة في أنفسها، وإنما المقصود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى التعبير عنها بالكلام، فصارت الألفاظ بمنزلة الطريق إلى المعاني التي هي مقصودة[(٤)]؛ لذا فهي محط اهتمام الأدباء والكُتَّاب عبر العصور والأزمان، والاعتناء بها وتسليط الضوء عليها من الأهمية بمكان.

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري،صـ٥٠٣، تحقيق/ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٢) ينظر التعريفات للجرجاني صـ٢٢٠ ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م. وينظر أيضا الكليات لأبي البقاء الكفوي صـ٨٤٢ ، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) ينظر الكليات صـ٨٦٠ .

(٤) ينظر سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي صـ٢١٤ ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

وإذا كان المعنى هو المقصد والغاية من البيان البشري، وفي مُقدِّمته وطليعته البيان النبوي؛ فإنك تجد البيان النبوي " مُسددَ اللفظ، مُحكم الوضع، جزل التركيب، متناسِب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضريبه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً، ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرُها أتم منها أداة للمعنى، وتأتياً لِسرِّه في الاستعمال"(١).

وأداة بيان ذلك والطريق الموصل إليه هو الدراسة البلاغية؛ لأن التعرف على أحوال التراكيب ودراسة الأبنية، وترتيب الكلمات والجمل وعلاقاتها، ومحاولة الكشف عن أسرارها يهدي إلى المعنى ويرشد إلى المقصد، كما أن المعنى هو السبب في اختلاف التراكيب وتباين أحوالها.

وما ذاك إلا لأن المعنى يسري في الكلام مسرى النَّفَس في النَّفْس، وإذا كان السبيل إلى الاهتداء إليه هو دراسة التراكيب وأحوالها، فإنه كلما شرُف الكلام وعلا استغلقت أسراره، فلم تتكشف إلا لأهل البصر بالكلام الذين يبحثون عن مراد المتكلم، وما خالط مراده من أحوال النفس؛ لأجل هذا كان التعرف على حقيقة المعنى عن طريق تراكيب الكلام وأحواله من الخطر بمكان(٢).

وتتبع بناء المعنى ليس مقصودًا لذاته، وإنما هو وسيلة يُسَلَّط بها الضوء على المعنى؛ لإظهاره وتوضيحه بطريقة تكشف عن مقاصد المتكلم من حديثه، وتعين على النظر في أغراضه وأهدافه، وتبعث على إدراك مرامي الكلام، ومدى مطابقته للسياق والمقام.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي صـ٢٢١ ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.

(٢) ينظر حركة المعنى في سورة الفجر دراسة بلاغية. أ. د/ إبراهيم صلاح الهدهد صـ٩، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٩م

وطريقة بناء المعنى تهدف إلى مزيد من التقرير والإيضاح والبيان؛ لأن بناء المعنى يسعى إلى الكشف عن طريقة نسج الجمل، والبحث في نمط بنائها، وسمت تركيبها، وما ينشأ عنه من دقة النظم والتأليف؛ لِتُكَوِّن هذه المعاني منظومة عقد متلألئ، تتتابع فيه حبات اللؤلؤ في شكل بديع، وتتحد في أبهى صورة؛ كي تعبر في النهاية عن غرض واحد، هو غاية المتكلم ومقصده، وهذا ما أكد عليه صاحب أسرار البلاغة: "واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته، أن أتوصّل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفصل أجناسها وأنْواعها، وأتتبّع خاصّها ومُشَاعَها، وأبيّن أحوالها في كرم مَنْصبها من العقل، وتمكُّنَها في نِصَابه، وقُرْب رَحِمِها منه، أو بُعدها حين تُنسب عنه"(١).

لذا كانت دراسة بناء المعني ومحاولة تتبع دلالاته البلاغية، والنظر إلى بناء الفكرة على الفكرة، وتوالد المعاني بعضها من بعض، واستدعاء كل منها للآخر، وتسلسلها بطريقة بديعة، من صميم الدرس البلاغي؛ وذلك لأن "الإعجاز له طريقان؛ أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب. والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب"(٢).

وإذا كان هذا أثر بناء المعنى في الكلام البشري فإن أثره في البيان النبوي أعظم وأَجَلّ؛ لأنه " لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا،

(١) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني صـ٢٦ ، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١/١١، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، بدون تاريخ.

ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلّى الله عليه وسلّم"[١].

وقد تتبع البحث بناء المعنى في الحديث من أوله إلى آخره، بالنظر إلى بناء الفكرة على الفكرة، وتوالد المعنى من المعنى، واستدعاء المعاني بعضها بعضا، وتفرعها إلى أجزاء، والنظر في تسلسلها، وإحكام صنعتها، وجودة سبكها، بطريقة بديعة تنادي على شدة الترابط بينها، وقوة تماسك بنيانها، كما أبرزت الدراسة الأساليب البلاغية التي بُنِي المعنى عليها، وسمات التراكيب التي أسهمت في تكوينه، والدلالات البلاغية التي ساعدت في إظهار غرض المتكلم وفقه مقاصد البيان النبوي على النحو الذي انتظمت فيه محاور البحث كما سيتضح من الدراسة إن شاء الله تعالى.

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١٤/٣ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

ثانيًا: فضل الحديث وبيان مقاصده

****

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[1]

هذا الحديث من جوامع كلم النبي (ﷺ) وهو حديث عظيم، جمع أنواعًا من العلوم والقواعد والآداب، منها: تفريج كروب المؤمنين، وفضل إعانة المسلمين، ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أوغير ذلك وفضل إنظار المعسر، والستر على المسلمين، وفضل المشي في طلب العلم، وفضل الاجتماع على تلاوة القرآن ومدارسته[2].

وقد دار الحديث الشريف حول مقصد أعظم وغاية رئيسة هي إحياء معنى التكافل بين أفراد المجتمع؛ بالحث على العمل النافع، وبخاصة الذي يعود نفعه

---

(١) الحديث في صحيح الإمام مسلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ٢٠٧٤/٤، رقم (٢٦٩٩)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) ينظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، ٢١/١٧ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ. وينظر أيضا شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية لابن دقيق العيد، صـ١١٩، مؤسسة الريان، الطبعة السادسة، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

على الآخرين، وقد سعى إلى ترسيخ هذا المعنى، وتمكينه من خلال الحث على عدة فضائل، واندرجت هذه الفضائل تحت مقاصد ثلاثة: أولها: الترغيب في الشفقة على خلق الله، وثانيها: الترغيب فيما يُورِث الخشية من الله، وثالثها: الترغيب في علو الهمة.

وقد اتفقت هذه الفضائل في الغاية والهدف، وتشابهت في الصفة والهيئة؛ فجميعها تُعَدُّ من الركائز الاجتماعية، والأعمال التي يتعدى نفعها الفرد إلى المجتمع، بالإضافة إلى تماثل هذه الفضائل في الفئة التي تقوم بها، وتسعى إلى تحقيقها، وهي فئة أصحاب الهِمم والعزائم، التي تطمح إلى معالي الأمور، والسباق إلى الخيرات، كما يمكن أن يندرج الثواب المترتب على هذه الفضائل تحت قاعدة واحدة هي: أن الجزاء من جنس العمل، ولكن حين يكون الجزاء من الكريم فإنه سيكون أضعاف العمل؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء[١].

وتُعَدُّ الفضيلة الأولى وهي (تنفيس المكروب) محور الحديث الشريف، وعليها مداره، ومنها تشعبت بقية الفضائل، وتفرعت على إثرها بقية المكارم.

فإن إنظار المعسر تفريج لكرب الإعسار، وستر عيوب المسلم تفريج لكرب هتك الستر، وإعانة العبد تفريج لكرب الحاجة إلى الغير، وطلب العلم تفريج لكرب الجهل، ثم إن أفضل العلوم، وأقربها في الوصول إلى الله، وأعظمها في زيادة الخشية منه هو تعلم القرآن ومدارسته.

والحديث إلى جانب ما سبق جاء يحث على الجد والاجتهاد، وترك التباطؤ والكسل؛ لأن المعول عليه في الوصول إلى الغايات، وتحقيق الأمنيات،

(١) ينظر روائع من أقوال الرسول (ﷺ) دراسات أدبية ولغوية وفكرية. لابن حبنكة الميداني صـ٣١٠ ، دار القلم، دمشق، الطبعة السادسة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

هو الاجتهاد والسعي والعمل الدؤوب، واستعذاب كل تعب ونصب في الطريق إلى القمة، أما الاعتماد على شرف النسب أو التسلق على أمجاد الآباء، والاتكاء على إنجازاتهم فإن هذا لن ينفع المرء، ولن يجعله يتقدم خطوة على طريق التميز والتفوق.

وقد اعتمدت في دراستي على رواية الإمام مسلم؛ لأنها أوفى وأعم روايات الحديث الشريف؛ فقد جَمَعَتْ بين طياتها فضائل متعددة، وأبوابًا للخير متنوعة، خَلَتْ من معظمها الروايات الأخرى.

المبحث الأول

بناء المعنى في فضيلة الترغيب في الشفقة على خلق الله

****

هذا الحديث الشريف رأس في الحث على مكارم الأخلاق، وبعث أواصر المحبة بين المؤمنين، والترغيب في التعاون، والدعوة إلى الاتحاد والتكاتف والتآلف بين الإخوَة في الدين؛ إذ يُعَدد بعضًا من الفضائل التي يحقق من خلالها هذه الغايات، ويقوِّي دعائم التكافل بين أفراد المجتمع المسلم؛ حتى يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

لأجل هذا كان أول عمل قام به النبي (ﷺ) بعد الهجرة إلى المدينة وبناء المسجد هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهذا يدل على ما لترابط الأفراد من دور عظيم في تأسيس المجتمع المسلم؛ لأنه مع هذه المؤاخاة زالت فوارق الأنساب والأوطان والألوان؛ فمبدأ المفاضلة هو التقوى والعمل الصالح، وبهذا استطاع الرسول (ﷺ) أن يُوَحِّد الصفوف ويؤلف بين القلوب، وضرب الصحابة . رضوان الله عليهم . أروع الأمثال في التضحية والإيثار، وجذبوا بأخلاقهم إلى الدين الأنظار، وسَطَّروا أمجاد الإسلام بأحرف من نور.

وقد جاء الحديث الشريف في هذا المبحث يؤسس للعلاقة بين المسلمين، ويحث على مكارم من شأنها توثيق عرى الأخوة، وتوطيد العلاقات بين الأفراد، وهذه الفضائل هي: (تنفيس المكروب، والتيسير على المعسر، وستر المسلم، وإعانة المسلمين)، والمعنى في هذه الفضائل يقوم على التأسيس لروح المحبة بين المسلمين، وإشاعة معاني البذل والتضحية في المجتمع المسلم، ونثر عبير المودة والإخاء بين الأفراد والجماعات، التي أرسى دعائمها رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه.

المطلب الأول

بناء المعنى في فضيلة تنفيس المكروب

****

لما كانت الدنيا دار ابتلاء واختبار، ومحلًا للهُموم والأكدار، وكانت هذه الهموم والكُرَب من أعظم العوائق عن مواصلة السعي في أمور الدين والدنيا، كان من الضرورة أن يُسَلِّطَ البيان النبوي الضوء على فضيلة تنفيس المكروب، ويحث عليها، ويُرَغِّب فيها، ويدعو المسلمين إلى نشر ثقافتها بين أفراد المجتمع، ويتخذ من هذه الفضيلة سبيلًا لإشاعة روح المحبة بين المسلمين، وتأسيس مبدأ التعاون على البر والتقوى؛ وذلك من خلال إبراز الثواب الجزيل المترتب على المجيء بها، والأجر العظيم الذي يظفر به من سعى إليها.

وقد استهل البيان النبوي الحديث عن فضيلة تنفيس المكروب بقوله (ﷺ): **(مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**؛ وفي بدء البيان النبوي بهذه الفضيلة براعة استهلال، وهو من أحسن الابتداءات؛ لأنه ناسب المقصود من الكلام[1]؛ فهذه الفضيلة هي محور الفضائل المذكورة في الحديث الشريف، ومنها تشعبت باقي الفضائل، وتفرعت على إثرها المكارم الأخرى، ولذا ناسب البدء بها، وهذا من قبيل ذكر الخاص بعد العام، أو التفصيل بعد الإجمال، وهو فن من فنون البلاغة له أثره في ترابط الكلام، وبناء بعضه على بعض، وترتّب عناصره على بعض.

والمقصد من هذه الفضيلة هو الحث على تفريج كُرَب المؤمنين في الدنيا، ومحاولة التخفيف من شدائدها، وإزالة آثار الأحزان والآلام التي من شأنها أن تُثبط عزيمة المؤمن، وتَحُول بينه وبين السعي؛ فالحزن يكون سببًا في قعود

(١) ينظر الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للعصام ١٢٩/١ ، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المؤمن عن عمل الدنيا والآخرة، وهذا لأن الابتلاء قد يكون في النفس أو المال أو الأهل، ويتعداه، حتى يكون في إخوة الإيمان؛ ليرى الله موقف المؤمن من أخيه المؤمن وقت الشدائد، ويختبره في أفعاله تجاه إخوته في الدين؛ لأن كل كرب يصيب المؤمن يؤثِّر بالسلب على أخيه المؤمن، ولشدة أثر هذه الوحدة والتماسك بين المؤمنين جعل الله ثواب من يفرِّج كربات المؤمنين أن يفرِّج الله عنه من كربات يوم القيامة، وليس هناك وجه للمقارنة بين كربات الدنيا وكربات يوم القيامة، فالثانية أعظم، ولن ينجو منها إلا من كتب الله له النجاة.

وقد بُنِي المعنى في هذه الفضيلة على أسلوب الشرط؛ إذ استطاع من خلاله أن يُرَسِّخ لمضمون الكلام في الأذهان، ويجذب إليه الأسماع، فيقوَى تأثيره على القلوب؛ وذلك لأن أسلوب الشرط . بما له من قدرة على جذب القلوب، وإيقاظ العقول . من أقوى أساليب التشويق، وبَعْث روح التطلع والتنافس والتسابق؛ لأن المتلقي عند سماع جملة الشرط تشتاق نفسه إلى معرفة الجواب، ويهفو قلبه إلى لذة الحصول على الجزاء المترتب على فعل الشرط، فإذا أُلقي عليه الجواب استقر المعنى في وجدانه، وتمكَّن من فؤاده، ولا شك في أن هذا السبيل من أقدر السبل على ترسيخ المعنى وتقريره في النفس.

كما أن بناء المعنى على أسلوب الشرط ينبئ بقُوَّتِه واتحاد دلالاته على الغرض من الكلام؛ لأن أسلوب الشرط مبني على تعليق حصول مضمون جملة الجواب على حصول مضمون جملة الشرط[١]، وهذا جعل جملتي الشرط والجواب بمنزلة جملة واحدة[٢]، مما يدل على ترابط النص النبوي، وتماسك عناصره،

(١) وهذا لما يتضمنه معنى الشرط من وقوع الشيء لوقوع غيره. ينظر المقتضب للمبرد ٤٦/٢ ، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.

(٢) لأن "أصل الشرط والجزاء أن يتوقف الثاني على الأول". البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٥٤/٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

وتناسب أجزائه.

ومن جهة أخرى فإن بناء المعنى على أسلوب الشرط يدل على مفهوم المخالفة[١]؛ حيث كان ثبوت دلالة منطوق الكلام مشيرًا إلى انتفاء دلالة مفهومه، فدلالة منطوق فضيلة تنفيس المكروب يشير إلى انتفاء دلالة مفهومها، بمعنى إثبات المعنى المذكور وانتفاء المعنى المعدوم، والمراد أن من نفَّس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن لم يُنَفِّس عن أخيه من كرب الدنيا لم ينفِّس الله عنه من كرب يوم القيامة، وفي هذا من التحفيز والترغيب والحث على تنفيس المكروب ما فيه؛ مسارعة إلى الظفر بثواب هذه الفضيلة، ورغبة في تحصيل أجر القيام بها.

وقد آثر البيان النبوي أداة الشرط (مَن) التي تدل على عموم الخطاب؛ لأن (مَن) تأتي لتعميم أولى العلم مطلقا[٢]، فالخطاب ليس مقصورًا على الصحابة الكرام، وإنما يتوجه إلى كل مسلم يمكنه تنفيس كربات المؤمنين، ولديه

(١) "إذ مفهوم الشرط من أقسام مفهوم المخالفة، وفسر مفهوم المخالفة بأن يكون المسكوت عنه مخالفًا لحكم المذكور إثباتًا أو نفيًا، ومفهوم الموافقة بأن يكون المسكوت عنه موافقًا في الحكم المذكور" شرح التصريح على التوضيح تأليف/ خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري،٤٢١/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م. وينظر مفهوم المخالفة كتاب أصول الفقه لابن مفلح ١٠٦٥/٣، حققه وعلق عليه وقدم له: د/ فهد بن محمد السَّدَحَان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م. وينظر أيضا كتاب الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٦٩/٣ . تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٢) ينظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، ٣٦٠/١، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

استطاعة على إزالة شدائدهم.

وجاء فعل الشرط (نَفَّسَ) في صيغة الماضي . وإن كان معناه الاستقبال؛ لإنزال غير الواقع منزلة الواقع؛ للدلالة على شدة الرغبة في تحقق التنفيس، وهذا من شأنه توحيد أفئدة المؤمنين، والحرص على تحقيق الترابط بينهم، من خلال إحياء معاني المودة وروح المحبة فيما بينهم، وتنفيس بعضهم لكربات بعض؛ " فإن الطالب إذا تبالغت رغبته في حصول أمر يكثر تصوره إياه فربما يخيل إليه حاصلا"[(١)].

كما أن تضعيف العين في صيغة التنفيس يومئ إلى وجود جهد مبذول في تنفيس المؤمن عن أخيه شِدَّته، وسعيه في تفريج كربته، وإزالة هَمِّه وغَمِّه، وهذا يومئ إلى ضرورة الحرص والسعي الدؤوب، المقترن بعزم وإرادة وقوة في تفريج كربات المسلمين، وإزالة همومهم وغمومهم.

ويأتي التنفيس بمعنى: التفريج والتوسعة، يقال: نَفَّس الله عنه كربته: أي فَرَّجَها، ويقال: أنت في نَفَسٍ من أمرك: أي في فُسحة وسِعَة قبل الكِبَر والأمراض والحوادث، والنَّفَسُ: هواء يخرج من الفم والأنف مثل النسيم[(٢)]، وكأن من كان في شِدَّة وضيق وكرب سُدَّت عنه مداخل الأنفاس، فإذا أزيلت عنه وذهبت فُتحت المداخل[(٣)]؛ ولهذا اتصف الحرف الذي ينقل المضارع من الزمن الضيق . وهو

---

(١) الإيضاح للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ١٢٢/٢ ، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة .

(٢) ينظر لسان العرب لابن منظور، مادة نفس، ٢٣٧/٦، دار صادر، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٣) ينظر الكاشف عن حقائق السنن = شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ٦٦٥/٢ ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م. وينظر أيضا مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، =

الحال . إلى الزمن الواسع . وهو الاستقبال . بأنه حرف تنفيس[١].

وبناء على هذا المفهوم فإن اللفظ مستعمل هنا في غير معناه الحقيقي؛ إذ هو استعارة تبعية؛ حيث شبه إزالة الضيق والكرب عن المؤمن بالنَّفَسِ الذي هو خروج الهواء أثناء عملية التنفس بجامع الارتياح في كل، واشتق منه التنفيس على سبيل الاستعارة التصريحية، وقد أسهم بناء المعنى على الاستعارة في تجسيد المعنى في صورة تتسم بروعة الخيال، وحسن الإبانة والإيضاح، بأسلوب يحرك المشاعر، ويوقظ العقول؛ لأنه صور شدة الضيق والألم الذي يصيب المؤمن بسبب الكربات في صورة تحول بينه وبين التنفس بطريقة طبيعية، حتى إذا زالت هذه الكربة استطاع معها أن يخرج الضيق من صدر المؤمن سلسًا كخروج الهواء أثناء التنفس، وهذا أوكد في تقرير المعنى في نفس المخاطب، وتمكينه وترسيخه بطريقة هي الأكثر وضوحًا وجلاءً.

كما بُنِي المعنى في البيان النبوي على إيجاز الحذف حين طوى الطريقة التي يُنَفَّس بها عن المكروب؛ بقصد العموم؛ لتعدد وسائل التنفيس وتنوعها؛ فالتنفيس قد يكون ببذل الجهد أو بالمال أو بالدعاء أو بغير ذلك من طُرُق تفريج الكرب،

كما جاء التقييد بـ(عن) التي تدل على المجاوزة[٢]، وهذا التقييد يوحي بسلوك كل سبيل من شأنه أن يُنَفِّس الكَرْب عن المؤمن، ولم يقتصر تنفيس الكربات على مؤمن بعينه، أو على ذوي القرابة أو من تربطه بهم صلة، بل تعداه إلى عامة المؤمنين؛ لذا جاء تنكير المجرور (مؤمن) لما في التنكير من

=

٢٨٦/١، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

(١) ينظر الكليات لأبي البقاء الكفوي، صـ٤٩٩ .

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي. تحقيق/ د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل.صـ٢٤٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢ م.

العموم والشمول لكل مؤمن، وإيثار صفة الإيمان للدلالة على أنه يرفع صاحبه، ولو كان عاصيًا؛ مراعاة لإيمانه[١].

وقد ناسب بناء المعنى تقييد فعل التنفيس بالمفعول (كربة)؛ لأن الكَرْب: هو الحزن والغم الذي يأخذ بالنَّفْس، يقال: كَرَبَه الأمر والغمّ: إذا اشتد عليه[٢]، والكُربة: هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الكرب، وتنفيسها أن يخفف عنه منها، مأخوذ من تنفيس الخناق، كأنه يرخى له الخناق حتى يأخذ نَفَسًا[٣]، لأن الكرب يَقْلِبُ الَّنفْس من حال إلى حال، ويغرس فيها نوازع الحزن والهَمّ والغم، حتى لا تقوى على فعل شيء؛ ولذا نُكِّر المفعول (كربة) فأفاد التنويع والإبهام، بمعنى كربة من أي نوع من أنواع الكُرب، وجاء نعت هذه الكربة بقوله: (من كرب الدنيا)، و(مِن) هنا بيانية؛ حيث بيّنت تعلق الكربة بأمور الدنيا، ويمكن أن تكون ابتدائية بمعنى أن منشأ هذه الكربة في الدنيا[٤]، وهذا القيد من قبيل التتميم، وجيء به ترغيبًا في الفعل، وحثًا على امتثاله، كما أنه يمثِّل نوعًا من التقابل بينه وبين قوله في جواب الشرط: (من كرب يوم القيامة)؛ ليكون الشرط على نسق الجواب ولفظه في الشكل والبناء، وهذا من شأنه إبراز التفاوت الشديد والبون الشاسع بين العمل وجزائه، فشتان بين عمل الدنيا وجزاء الآخرة.

والإضافة في (كُرَبِ الدنيا) تتضمن تهوينًا من شأن المضاف؛ لأن كُرب الدنيا مهما عظمت فهي حقيرة مقارنة بكُرَب يوم القيامة، كما يقصد من الإضافة الدلالة على حقيقة الدنيا، وأنها دار فناء لا دار بقاء؛ للتأكيد على عدم التعلق بها

---

(١) ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢٨٦/١ .

(٢) لسان العرب، كرب، ٧١١/١ .

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ٢٨٦/٢ ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٤) ينظر البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج ، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، ١٧٢/٤٢، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى،١٤٢٦هـ.

أو الركون إليها.

وبعد بناء المعنى على التشويق المستفاد من جملة الشرط، تأتي جملة الجزاء: (**نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)؛ لتكتمل اللذة بالحصول على المطلوب، وتطمئن النفس بوصولها إلى الغرض المنشود، وهو معرفة الجزاء المترتب على حصول الشرط، فإن النفس البشرية جُبلت على محبة الثواب، فهي تستشرف إلى الجزاء الذي يذهب معه الشعور بالمشقة والعناء، والذي يشجعها على مواصلة البذل والعطاء.

وتنكير المفعول (كربة) يفيد التعظيم والتفخيم من شأن هذه الكربة؛ لأنها تتعلق بيوم القيامة وأهواله، وما أشد كرباته ؟! وما أعظمها ؟! وإضافة الكربة إلى (يوم القيامة) يتضمن تعظيمًا للمضاف والمضاف إليه، وتفخيمًا لشأنهما؛ لأنها دار الخلود والبقاء، وأهوالها لا حصر لها، ولا قياس بينها وبين أهوال الدنيا؛ للتأكيد على توجيه النفوس إلى العمل لأجلها، والسعي إلى مرضاة الله، حتى ينجو المؤمن من شدائد هذا اليوم، ويكون عند الله من السعداء.

وقد جاء الجزاء من نفس جنس فعل الشرط: (من نَفَّس عن مؤمن ... نَفَّس الله عنه ...)؛ للدلالة على مبدأ ثابت، وقاعدة لا تتبدل وهي: أن الجزاء من جنس العمل؛ لأن العدل مبدأ من مبادئ الإسلام، وقاعدة سماوية رسخها القرآن وأرسى قواعدها بين الناس، فكان جزاء تنفيس المؤمن عن أخيه في الدنيا أن ينَفِّس الله عنه يوم القيامة.

وإنما اختص تنفيس الكرب بيوم القيامة ولم يقل: من كرب الدنيا والآخرة . كما سيُذكر ذلك في فضيلتي الستر والتيسير؛ لأن حصول الشدائد العظام في الدنيا ليس لكل أحد، بخلاف الإعسار والعورات التي تتطلب الستر، فلا يكاد يخلو أحد منها في الدنيا، أو لأن كُرَب الدنيا لا تساوي شيئًا بالنسبة لِكُرَب

الآخرة، فناسب جزاء تنفيس كُرب الدنيا تنفيس كُرب الآخرة[١].

ومجي جواب الشرط بصيغة الماضي أفاد تحقق التنفيس والجزم بوقوعه؛ لأنه وَعْدٌ من الله على لسان رسوله الذي لا ينطق عن الهوى ، وإذا أسند التنفيس في فعل الشرط إلى عموم من يتأتى منه التنفيس فإن التنفيس في جملة الجزاء مسند إلى (الله) . عزَّ وجلَّ .؛ تعظيمًا لشأن الجزاء المترتب على الشرط، وتفخيمًا للتنفيس الحاصل مقابل التنفيس في فعل الشرط؛ ترغيبًا في فعل الشرط، وإبرازًا للفرق بين التنفيسين؛ تنفيس الله لكربة المؤمن يوم القيامة، وتنفيس العبد لكربة أخيه في الدنيا، فلا وجه للمقارنة بينهما.

هكذا كان بناء المعنى في هذه الفضيلة مرسخًا للمقصد منها، ومقررًا له في النفس، ومرغبًا في الإتيان بها، وكان إيثار كل لفظة فيها وانتقائها بالنظر إلى ما جاورها دالًا على منزلتها، وعظم مكانتها، كما كان بناء المعنى على أسلوب الشرط داعيًا إلى إيقاظ روح السباق إلى الخيرات، والتنافس في الطاعات.

ومن جانب آخر فإن دلالة المعنى في هذه الفضيلة توحي بحرص الرسول (ﷺ) على توحيد صفوف المسلمين، وتأليف قلوبهم، وإحياء روح المودة والإخاء بينهم، وذلك بغية بعث مبادئ التكافل بين أفراد المجتمع، فيشعر كل فرد بالآخر، ويبذل لأجله ما بوسعه، وتقوى شوكة الأمة الإسلامية، فلا يستطيع خصومها النيل منها.

(١) ينظر جامع العلوم والحكم ٢٨٧/٢ .

المطلب الثاني

بناء المعنى في فضيلة التيسير على المعسر

****

أرشد النبي (ﷺ) الأمة في هذا الحديث إلى بعض الفضائل التي تغرس معاني الحب والتراحم والألفة بين المؤمنين، ودعاهم إلى أن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا؛ لتتحد كلمتهم، وتقوى شوكتهم، ويشتد بأسهم على أعدائهم، ولما كان الحديث في الفضيلة السابقة عن فضل تنفيس كربة المؤمن، والحث عليها، ناسب ذلك أن يكون الحديث في هذه الفضيلة عن التيسير عن المعسر، وإبراز الثواب المترتب على المجيء بها، ويعد هذا من قبيل عطف الخاص على العام؛ تنويهًا بفضله حتى كأنه جنس مستقل عنه مع أنه منه؛ لأن الإعسار ضرب من ضروب الكرب، وصنف من أصناف الشدائد التي تصيب العباد، ولذلك صح عطفه عليه، ولا شك في أن محاولة المؤمن التيسير على أخيه يُعَدُّ تفريجًا لِكَرْبِه، وإزالة لشِدَّته.

وجاء البيان النبوي يرشد إلى فضيلة التيسير على المعسر، ويحث عليها، ويُرَغِّب المخاطبين في التنافس والتسابق لِنَيل ثوابها، في قوله (ﷺ): (**وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**).

وقد بُني المعنى في هذه الفضيلة على أسلوب الشرط؛ .كما هو الشأن في الفضيلة الأولى .؛ لما له من سمات تأخذ بقلب المتلقي، وتُشَوِّقُهُ إلى الغرض المقصود من الكلام؛ فالمخاطب عند سماع جملة الشرط (من يَسَّر على مُعْسِر) يكون بصدد انتظار جملة الجزاء، والتي تُمَثِّل المكافأة المترتبة على حصول الشرط؛ لما تُثيره جملة الشرط في نفس المخاطب من دوافع الشوق، ونوازع التطلع والمعرفة، والتلهف إلى معرفة الجزاء، فإذا جاءت جملة الجزاء استقر المعنى في ذهن المخاطب، وتمكَّن منه فضل تمكن، وحينئذ تُسارِع النفس إلى فعل الأمر الذي رُغِّب فيه؛ حرصًا على نيل الأجر والثواب، وتطلعًا إلى المثوبة

والعطاء؛ لأن أسلوب الشرط يفتح باب التنافس بين المخاطبين، ويُؤذِن بالتسابق إلى الخيرات، وهذا أسلوب من أساليب الدعوة؛ حيث يحرص الداعي على جذب القلوب، وبسط سيطرته على الأفئدة بطريقة الترغيب لا الترهيب.

وإيثار البيان النبوي (مَنْ) الشرطية لإفادة العموم، وصيغة الماضي (يَسَّر)؛ للدلالة شدة الرغبة في تحقق حصول التيسير، وتضعيف عين الكلمة (السين) يوحي بالجهد المبذول في محاولة التيسير، ويرشد إلى ضرورة حمل النفس على الجد، والأخذ بعزائم الأمور، وهذا يقتضي بذل الجهد في سبيل ذلك؛ لأن النفس مجبولة على حب الراحة، والميل إلى الدَّعة والسكون، وبذل المرء جهدًا لأجل نفسه تقوى دوافعه؛ لأنه يسعى لمصلحة ذاته، أما بذل الجهد للغير فإنه لا تقوى عليه إلا النفوس ذات الهمم العالية، التي تحب الخير للغير كمحبته لنفسها، ويؤيد هذا المعنى حرف الجر (على) الذي يفيد الاستعلاء، ويُنَبِّهُ من طرف خفي إلى المشقة الحاصلة للعبد بسبب العسر والضيق الذي يمر به.

وقد بُنِي المعنى على إيجاز الحذف حين طوى ذكر مفعول التيسير؛ لإفادة العموم والشمول لكل صورة من صور التيسير؛ إذ قد يُمهِل المؤمن أخاه المعسر لحين اليسر، أو يتجاوز عن جزء من الدَّيْن أو عن الدَّيْن بالكلية، وهذا يفتح المجال للتيسير على المعسر، ويتيح سلوك أكثر من طريق في محاولة لتفريج كربة المعسر(١)، ويعد الإيجاز من خصائص بناء معنى البيان النبوي؛ لأن الله

(١) جاء هذا المعنى في حديث آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . رضي الله عنه . عَنِ النَّبِيِّ . صلى الله عليه وسلم . أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، كَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ، قَالَ اللهُ . عَزَّ وَجَلَّ . لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ يَتَقَاضَى، قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، قَالَ اللهُ . عَزَّ وَجَلَّ .: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ ". مسند الإمام أحمد بن حنبل،١٤/٣٤٥ ، رقم ٨٧٣١، =

اختص رسوله بأبلغ بيان؛ حتى تَصِل دعوته من أقرب السبل، وآمنها من السأم، حتى نكاد لا نرى إطنابًا استدعاه مقام التقرير لم يمازجه ضرب أو أكثر من ضروب الإيجاز[١].

والمعسر: هو مَنْ كَرَبه الدين، وتعسّر عليه قضاؤه[٢]، وتنكيره يفيد العموم لكل معسر، فيشمل المؤمن أو الكافر المعاهد[٣]، والمعنى: أن من كان له دَيْن على أحد، ويسَّر عليه بأي صورة من صور التيسير؛ فأمهله حتى السداد، أو وضع عنه بعض ديْنه، أو تجاوز عنه بالكلية، فإن الإحسان جزاؤه الإحسان، ومقابل التيسير تيسير أعظم؛ لأن تيسير العبد على العبد يكون في الدنيا، أما تيسير الله يكون في الدنيا والآخرة.

وقد كان للطباق دور في بناء المعنى؛ حيث طابق بين الفعل (يَسَّر) والاسم (مُعْسِر)، وأسهم هذا في توضيح المعنى وتقويته وتوكيده، ويؤيد هذا مجيء حرف الاستعلاء (على) الذي يشعر بعلو اليسر الحاصل من المؤمن على حالة العسر التي يحياها أخوه؛ مبالغة في حصول التيسير.

وقد ناسب جملة الشرط مجيء جملة الجزاء من نفس جنس فعل الشرط؛

=

تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(١) ينظر الحديث النبوي من الوجهة البلاغية د/ كمال عز الدين علي السيد صـ ٤٣٩، دار اقرأ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٦٦٥/٢ .

(٣) ينظر المفاتيح في شرح المصابيح للحسين بن محمود، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ المشهورُ بالمُظْهِري، ٣٠٥/١ ، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢م.

حيث قال رسول الله (ﷺ): (وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)، ومجي جواب الشرط بصيغة الماضي أفاد تحقق التيسير، وأنه واقع لا محالة؛ لأنه وعد من الله على لسان الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، وقد أسند التيسير في جملة الجزاء إلى لفظ الجلالة (الله)؛ تعظيمًا لشأن الجزاء المترتب على الشرط، وتفخيمًا للتيسير الحاصل في الجزاء في مقابل التيسير في فعل الشرط؛ لإفادة شدة الترغيب في فعل الشرط؛ لأن تيسير الله الحاصل للعبد يفوق تيسير العبد الحاصل لأخيه، بل لا يمكن المقارنة بينهما، فالتيسير الثاني هو مكافأة الخالق للمخلوق، أما التيسير الأول فهو تيسير مخلوق لمخلوق، وأساسه عون الخالق للمخلوق حتى جعل العبد سببًا في التيسير على عباده، فمبدأ التيسير هو العون من الله، والعبد مجرد سبب أجرى الله التيسير على يديه، وناسب ذلك حرف الاستعلاء (على) الذي يفيد استعلاء اليسر على حالة العسر، وأن التيسير الحاصل من الله لعبده في الدنيا والآخرة يعلو ويفوق كل عسر فيهما.

كما أن تيسير العبد خلا من التقييد بذكر زمانه ومكانه؛ للعلم بمحل التقييد وزمانه وهو الدنيا؛ لأنه من المعلوم أن تصرُّف الإنسان وتعلُّق العمل بإرادته لا يكون إلا في الدنيا، فهو يلائم أحوالها، أما الآخرة فليست محل عملٍ زمانًا ومكانًا، بخلاف التيسير الحاصل من الله للعبد فهو مقيَّد بالجار والمجرور (في الدنيا والآخرة)؛ لأن حاجة العبد إلى تيسير الله مدة كونه في الدنيا ظاهر، وحاجته إلى التيسير في الآخرة أقوى وأشد؛ لأن الآخرة لن يلتفت مخلوق إلى مخلوق، فالجميع يقول: نفسي نفسي، وأهوال الآخرة لا يمكن أن تقارن بأهوال الدنيا؛ لذا كان الجزاء المترتب على العمل يفوق العمل؛ لأن الله يعامل العباد بكرمه ورحمته، ولو عاملهم بِعَدْلِهِ لهلكوا.

هكذا كان بناء المعنى في هذه الفضيلة داعيًا إلى ترسيخ مراد المتكلم، وقصده في النفس، وتقوية أثره في القلب، كما كان المعنى في الفضيلة الأولى

هو السبيل إلى المعنى في هذه الفضيلة، وداعيًا إليه؛ لأن العسر والوقوع في ضائقة صورة من صور الكربات التي تقع للعبد في الدنيا، ومحاولة المؤمن التيسير على أخيه يُعَدُّ مِن قبيل تفريج كربته، والتنفيس عنه، فهذا من قبيل الخاص بعد العام، الذي يكسب المعنى ترابطًا وتماسكًا، ويضفي عليه مزيدًا من التقرير والتوكيد؛ لأن هذا هو الذي سعت إليه الفضيلة الأولى، ورغَّبت في المجيء به، وحث عليه البيان النبوي وحرص على التأكيد على أهميته، وغرس معانيه في نفوس المؤمنين، وإشاعة أثره وما يترتب عليه بين أفراد المجتمع الإسلامي.

لذا فإن دلالة المعنى في هذه الفضيلة تأسست على دلالة المعنى في الفضيلة السابقة، وارتبطت بها ارتباطًا شديدًا، ويؤيد هذا وجود الواو بين الفضيلتين التي تنبئ عن قوة الارتباط بينهما، وغاية المناسبة بين أجزائهما؛ لما بينهما من توسط بين الكمالين، مع وجود الجامع والمناسبة؛ إذ اتحدتا في المسند إليه وأداة الشرط، فبينهما ما يشبه الاتحاد في التصور.

المطلب الثالث

بناء المعنى في فضيلة ستر المسلم

****

ولا يزال البيان النبوي حريصًا على إحياء معنى التكافل بين أفراد المجتمع الإسلامي، وبعث روح الترابط والتماسك بين المسلمين، وغرس شتى ألوان الاتحاد في الأمة، ومن أعظم الفضائل التي تؤدي هذا الغرض، وتدعو إليه: فضيلة ستر المسلم؛ وقد دعا إليها ورغب فيها بقوله (ﷺ): **(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)**.

وعماد بناء المعنى في هذه الفضيلة هو أسلوب الشرط . كما هو الشأن في الفضيلتين السابقتين .؛ وذلك لما تميَّز به أسلوب الشرط من القدرة على جذب المخاطب؛ إذ يثير فيه دوافع التطلع والرغبة إلى معرفة ما يترتب على الشرط من جزاء، ويحرك فيه نوازع الشوق واللهفة إلى تحصيل الثواب، والظفر بالجزاء.

ومن جانب آخر فإن بناء المعنى على أسلوب الشرط يوحي بترابط المعنى وتعانقه بين فعل الشرط والجزاء المترتب عليه؛ إذ يتوقف حصول الجزاء على وقوع الشرط؛ لأن أسلوب الشرط يقوم على علاقة التلازم بين الشرط والجزاء؛ إذ يلزم من وجود الشرط وقوع الجزاء، ويترتب وقوع الجزاء على حصول الشرط ترتب السبب على المسبب.

وآثر أداة الشرط (مَنْ) التي تستعمل في عموم من يعقل، فأفادت توجه الخطاب إلى كل من تتأتى مخاطبته بهذا الفعل.

كما بُني المعنى على إيجاز الحذف في جملة الشرط: (من ستر مسلماً)؛ إذ طوى ذكر المضاف لإفادة العموم والشمول، فيندرج تحته كل ما يمكن أن يتحقق فيه الستر من الزلات والعورات؛ مبالغة في كمال إسباغ الستر على المسلم؛ لأن ذكر المضاف يقدح في الستر المأمور به، كما أن الحذف يتفق مع

جو الستر المأمور به في الحديث؛ لأنه يمثل نوعًا من الستر والتغطية، وبهذا تعدى الأمر بالستر الجانب المعنوي إلى الجانب اللفظي في الكلام، فكأن عدم ذكره وحذفه من الكلام أمرًا بالستر.

ومجيء فعل الشرط في صورة الماضي:(سَتَرَ)؛ ليدل على شدة الرغبة في حصول الستر، وقوة الحرص على المجيء بهذه الفضيلة حتى أبرزها في معرض المتيقن حصوله.

وإذا جاء البيان النبوي مُرَغِّبًا في ستر المسلم صراحة . بطريق التشويق المستفاد من أسلوب الشرط . فإنه يفهم منه ضمنيًا النهي عن تتبع عورة المسلم، وقد جاء هذا صراحة في حديث آخر في سنن الترمذي: " مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِه "[(١)].

والتنكير في قوله: (مسلمًا) يفيد العموم لكل مسلم، وتخصيص لفظ المذكر بالذكر من باب التغليب؛ لأن الأمر يشمل المسلم والمسلمة، بل لعله في جانب المسلمة أولى؛ لأن سترها تابع لستر المسلم، فهي أولى ما يحرص المسلم على ستره، وعبر في فضيلة ستر المسلم بلفظ (المسلم) بينما عبر في فضيلة تنفيس المكروب بلفظ (المؤمن)؛ لأن الكربة تتعلق بالباطن كما يتعلق الإيمان بالباطن، أما السِّتر فيتعلق . غالبًا . بالظاهر فناسبه الإسلام المتعلق بالظاهر، أو لبيان أن الإسلام والإيمان هنا بمعنى واحد، فيكون القصد من ذلك التفنن والتنوع في العبارة[(٢)].

ويسوق البيان النبوي جواب الشرط من جنس فعل الشرط في قوله: (سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) وبناء المعنى في جملة الجزاء على صيغة الماضي

(١) سنن الترمذي، ٤/ ٣٧٨ رقم ٢٠٣٢ .

(٢) ينظر الجامع في شرح الأربعين النووية لأبي عبد الله محمد يسري، ١٢٤٢/٢ ، دار اليسر، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

(ستره) لإفادة تحقق الستر، وتيقن وقوعه؛ لأنه وعد من الله على لسان رسوله (ﷺ)، وإسناد الستر إلى الله . عزَّ وجلَّ . يشعر بتعظيم الجزاء المترتب على الشرط، وتفخيم الستر الحاصل من الله للعبد في مقابل الستر الحاصل من العبد لأخيه في فعل الشرط؛ ترغيبًا في حصول فعل الشرط، وإبرازًا لكرم الله وفضله على عباده؛ إذ جعل مجرد ستر العبد نقائص أخيه سبيلًا إلى ستر الله لعبده في الدنيا والآخرة.

ولذا جاء التقييد بالجار والمجرور (في الدنيا والآخرة) لزيادة الترغيب في ستر المسلم، والحرص على عدم تتبع نقائصه؛ لأن المسلم فرد من أفراد المجتمع، ومحاولة فضحه يكون سبيلًا إلى إشاعة الفساد بين المجتمع الإسلامي، ثم إنه قد يتوب الله عليه، فيخجل من مخالطة الناس بعد كشف نقائصه وزلاته، لذا كان الستر فضيلة يحيا بها المجتمع المسلم في وحدة وتآلف، وستر الله على العبد في الآخرة جاء تفصيله في حديث آخر قال فيه رسول الله (ﷺ): " إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ... "[(١)]

وجاء الوصل بين الفضائل الثلاث: (تنفيس المكروب، والتيسير على المعسر، وستر المسلم) بالواو؛ للتوسط بين الكمالين؛ حيث اتفقت الجمل في الخبرية لفظًا ومعنى، مع وجود الجامع المسوغ للوصل؛ إذ اتحدت هذه الفضائل في الغاية والهدف، بالإضافة إلى تماثلها في أسلوب الشرط وأداته (مَنْ)،

(١) صحيح البخاري ١٢٨/٣ ، رقم ٢٤٤١، باب قول الله تعالى: {أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨].

ومجيء فعل الشرط وجوابه بصيغة الماضي، ولا شك أن الوصل بين هذه الجمل يوحي بالترابط بين معانيها، والتماسك بين أغراضها، والاتحاد في الغاية منها؛ إذ كل فضيلة من هذه الفضائل جاءت تؤكد أهمية التكافل بين أفراد المجتمع، وتسعى إلى إحياء روح التعاون بينهم، وتحث على الاتحاد والتآلف وجمع الشتات، كما زاد من عمق الترابط بينها اتفاقها في الخبرية لفظًا ومعنى.

ومن جانب آخر فإن العطف بالواو بين هذه الفضائل يؤذن باستقلال كل فضيلة منها عن الأخرى، ويوحي بانفراد كل واحدة منها بالأهمية، بحيث تتمايز كل فضيلة على الأخرى، كما ينبئ بعلو هذه الفضائل وارتقائها في الهدف والغاية.

هكذا كان بناء المعنى في هذه الفضيلة داعيًا إلى تمكين الغرض المقصود منها في النفس، وتعميق أثره في القلب، وترسيخ دلالته في الذهن، كما تناسبت دلالة المعنى في هذه الفضيلة مع دلالة المعنى في الفضيلة الأولى؛ لأن الفضيلة الأولى رغَّبت في تنفيس كربة المؤمن وحثَّت عليه، وهذه الفضيلة دعت إلى ستر المسلم والتحريض على ذلك، ولا شك أن ستر المسلم يعد صورة من صور تفريج الكربات وتنفيسها.

المطلب الرابع

بناء المعنى في فضيلة إعانة المسلمين

****

رغّبت السنة النبوية في إعانة المسلمين والسعي إلى قضاء حوائجهم؛ لما لهذه الفضيلة من أثر في تأليف القلوب، وتوحيد الصفوف، وبعث روح المودة والمحبة بين المسلمين، وإحياء معنى الإخاء في نفوسهم؛ لذا استأنف البيان النبوي الحديث عن الفضيلة الرابعة بقوله(ﷺ): (**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**)، وفيها يرغب البيان النبوي في تقديم العبد يد العون لأخيه، وجعل جزاءه معونة الله التي ترافقه أينما كان، وتيسيره وتسديده له في كل خطواته.

وعماد بناء المعنى في هذه الفضيلة هو الأسلوب الخبري الخالي من جميع المؤكدات، والغرض من الخبر هو المبالغة في الحث والترغيب؛ للدلالة على أن مضمون الكلام المفاد بطريق الخبر ظاهر معلوم، متحقق الوقوع، لا شك فيه، ولا تردد، وهذا مستفاد من اسمية الجملة، فالتأكيد المستفاد بها أقوى وأشد من التأكيد المستفاد من ترتب الجزاء على الشرط؛ لما تفيده الجملة الاسمية من الدلالة على الثبوت والدوام. ومن ثَمَّ يُقبِل العبد على فعل ما رُغِّب فيه ودُعِي إليه.

وإنما خالف البيان النبوي النسق في بناء المعنى في هذه الجملة عن الجمل السابقة؛ فقدَّم الجزاء: (والله في عون العبد) على الأمر المجازَى عليه: (ما كان العبد في عون أخيه)، بينما خرج الكلام في الجمل السابقة مخرج الشرط والجزاء؛ حيث كان الجزاء مترتبًا على الشرط؛ تعجيلًا بالمسرة التي تملأ النفس انشراحًا وسرورًا، وإغراءً بالثواب الجزيل؛ فالنفس البشرية مجبولة على محبة الثواب، والرغبة فيما يعود عليها بالنفع؛ حتى تقبل على فعل المأمور به

بقلب مطمئن مسرور، وهمة عالية، وعزيمة قوية.

وقد بُنِي المعنى في هذه الفضيلة على ذكر العام بعد الخاص؛ لأن كل فضيلة من الفضائل السابقة يمكن أن تندرج تحتها؛ فقد جمعت هذه الفضيلة بين طياتها مضمون الفضائل الثلاث السابقة، وجميعها يمكن أن تندرج تحت معونة العبد لأخيه؛ فإن تنفيس المؤمن عن أخيه كربة من كرب الدنيا هو إعانة له على تجاوز هذه الكربة، وتيسير العبد على أخيه المعسر إعانة له على تجاوز حالة الإعسار، وستر العبد زلة أخيه إعانة له على الستر، كل هذا فيه دفع للضرر عنه، وجلب للمنفعة له، وهو داخل في عموم عون العبد لأخيه بأي لون من ألوان الإعانة.

وإسناد حصول العون إلى الله . عزَّ وجلَّ . يشعر بعظم هذا العون الحاصل من الله تعالى لعبده مدة كونه في عون أخيه، وفيه تأكيد وتقرير لوقوعه، فيزداد العبد رغبة وحرصًا على إعانة أخيه؛ لعظم الثواب الذي أعدَّه الله له، مما يبث مزيدًا من الثقة والطمأنينة في قلب العبد، ويدفعه دفعًا حثيثًا إلى التحلي بهذه الفضيلة؛ لأن معنى عون الله للعبد أن يكون العبد في مَعِّية الله، فيكون التوفيق رفيقه، والتيسير حليفه، يسير بنور الله؛ لأن الله يحفظه ويرعاه، وهذا يوحي بمنزلة هذه الفضيلة، وعظم شرفها.

ويؤيد هذا المعنى الإضافة في (عون العبد)؛ إذ جاءت بمعنى اللام[١]، والمراد: والله معين للعبد[٢]، فعون الله يتضمن كون العبد في مَعِّيته، يصاحبه توفيقه ونصرته وتأييده، وتعريف المضاف إليه (العبد) يُدْخِل جنس من اتصف بالعبودية ذكرًا كان أو أنثى، عبدًا أو حُرًّا، كما يُشعِر بكمال العبودية لله، والتحرر

(١) ينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، ٥٠١/٢ ، تحقيق / عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية.

(٢) ينظر الجامع في شرح الأربعين النووية ١٢٥٢/٢ .

من رِقِّ المخلوقين أو الخضوع والركون لكل ما سوى الله، والشعور بالكرامة والعزة في عبادة الله وطاعته، فكمال العبودية لله هو كمال الحرية.

والتقييد بالمصدر المؤول: (ما كان العبد) الواقع حالًا أو ظرفًا؛ إذ التقدير حالة كون العبد في عون أخيه، أو مدة ووقت كون العبد في عون أخيه؛ للدلالة على الارتباط بين المعونتين؛ معونة العبد لأخيه، ومعونة الرب للعبد، والتأكيد على حصول معونة الرب للعبد بحصول معونة العبد لأخيه، وفي هذا حث على هذه الفضيلة، وترغيب فيها؛ ولهذا أوثر لفظ الأخ في قوله: (في عون أخيه) تذكيرًا برباط الأخوة الذي يجمع عباد الله، وإلهابًا للمشاعر التي تكون بين الإخوة؛ حثًّا على دوام التعاون، وتحريضًا على دوام الألفة والمحبة بين المسلمين، وإشاعة روح الإخاء والترابط والاتحاد بينهم، وهذا ما سعى إليه النبي (ﷺ) وحرص عليه أشد الحرص، وبذل في سبيله كل وسيلة من شأنها تحقيق هذا الأمر.

هكذا تناسبت دلالة المعنى في هذه الفضيلة مع دلالة المعنى في الفضيلة الأولى، فبينهما عموم وخصوص، وكان لكل منهما أثر في فقه المقصد الأعظم والغاية الرئيسة للحديث، وهي الترغيب في الحث على الشفقة على خلق الله؛ لأن الفضيلة الأولى دعت إلى تنفيس المكروب، ولا شك أن فضيلة إعانة المسلمين تدخل ضمن فضيلة تنفيس المكروب، كما أن دلالة المعنى في هذه الفضيلة يمكن أن يندرج تحتها دلالة المعنى في الفضائل السابقة؛ لأن تنفيس المكروب، والتيسير على المعسر، وستر المسلم يمكن أن تندرج تحت معونة العبد لأخيه، والسعي في قضاء حوائجه.

المبحث الثاني

بناء المعنى في فضيلة الترغيب فيما يُورِثُ الخشية من الله

****

لما كان الحديث في المبحث السابق عن الترغيب في الشفقة على خلق الله، ناسب ذلك أن يكون الحديث في هذا المبحث عن الترغيب فيما يورث الخشية من الله؛ لأن الخشية من الله ـ تعالى ـ تدفع العبد إلى الحرص على تقواه، ومراعاة حق العباد، واليقين بأن ما عند الله خير وأبقى، وهذا مما يعينه على مزيد من الشفقة على خلقه، والتجرد من نسبة الفضل لنفسه، واليقين بأنه لا حول للعبد ولا قوة إلا بالله، فكان المعنى في المبحث الأول تمهيدًا إلى المعنى في المبحث الثاني، وتأسيسًا للعلاقة بين العبد وخالقه؛ لأن العبد إذ رُزِق لين القلب ورقته تجاه العباد تبالغت رغبته في الإقبال على الله، وبذل النفس والنفيس في سبيل مرضاته، وسعى سعيًا دؤوبًا إلى كل عمل من شأنه أن يورث الخشية من الله، وأن يُقَرِّب العبد من ربه ومولاه.

وقد اندرج تحت هذا المبحث فضيلتان: الأولى: طلب العلم، والثانية: مدارسة القرآن، وهاك التفصيل لكل منهما.

المطلب الأول

بناء المعنى في فضيلة طلب العلم

****

مما لا شك فيه أن طلب العلم من أعظم ما يورث الخشية من الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨]؛ لذا جاء البيان النبوي يرغب في طلب العلم، ويبين أنه من أعظم الفضائل التي دعا إليها الإسلام، وحث عليها، وجاءت النصوص من القرآن والسنة تُرَغِّب فيها، وتشوِّق إليها؛ وذلك من خلال إبراز الثواب المترتب على المجيء بها، وبيان منزلة أهل العلم ومكانتهم عند الله، وما أعَدَّه الله لهم.

وقد سعى البيان النبوي في هذا الحديث الشريف إلى ترسيخ فضيلة طلب العلم في الأذهان، وتقرير عظيم ثوابها، والتأكيد على المنزلة التي يظفر بها من سلك طريق العلم، وذلك في قوله (ﷺ): **(وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ)**.

وعماد بناء المعنى في هذه الفضيلة . أيضًا . على أسلوب الشرط والجزاء كما كان في الفضائل الثلاث الأولى؛ لأنه من أقدر الأساليب على جذب المخاطب، والأخذ بمجامع قلبه؛ لما له من قدرة على لفت انتباهه، واستمالته بلطف ورفق؛ وذلك من خلال التشويق والإثارة الذي يعد سمة من سماته، كما أن بناء المعنى على أسلوب الشرط يوحي بتعانق المعنى وتعاضده وقوة ترابطه؛ لما بين الشرط والجزاء من تلازم وارتباط؛ لتوقف حصول الثاني على الأول، ووقوع الثاني مسببًا عن الأول، وهذا من أعظم ما يرغب في حصول الأمر المطلوب، ويحث عليه؛ لما جُبِلت عليه النفس البشرية من حب التطلع إلى الجزاء، وحصول الأجر في مقابل العمل.

وإيثار أداة الشرط (مَنْ) يفيد عموم خطاب العقلاء، فيدخل تحتها كل من

يتأتى منه الفعل المذكور، ومن خصائص بناء المعنى في الحديث النبوي مجيء (مَن) الشرطية كثيرًا؛ لأن الحديث الشريف تشريع للناس، وعمل المسلم في أحواله كلها مرتبط بالجزاء، ثوابًا كان أو عقابًا، ومن ثَمَّ جاء الحديث موضحًا لهذا الجزاء، وليس هذا التوضيح لفرد بعينه، ولا لنتيجة بذاتها، بل كان موجهًا للناس كافة، ومبيِّنًا للأعمال كلها[1].

والقصد من مجيء الشرط ماضيًا . وإن كان معناه الاستقبال . في قوله: (مَنْ سَلَكَ) تنزيل غير الواقع منزلة الواقع؛ إبرازًا لشدة الرغبة في سلوك طريق العلم، وحثًا على الجدِّ في تحصيله، كما يدل على يقين المتكلم . وهو الحبيب (ﷺ) . بأهمية العلم ومكانته بين الفضائل، وأن نفسه قد أشبعت بهذا المعتقد حتى نُزِّل غير الواقع منزلة الواقع.

وتقييد فعل الشرط (سلك) بالمفعول (طريقًا) إتمامًا للفائدة، وزيادة في التوضيح والتقرير؛ لأن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد تخصيصًا وإيضاحًا، وكانت فائدته أتم وأكمل[2]، وصياغة المفعول في صورة النكرة زاد من تعظيم شأن هذا الطريق، بالإضافة إلى ما يشعر به من معنى العموم؛ ليشمل وسائل طلب العلم المختلفة، وأسباب بلوغه المتعددة، تعليمًا وتَعَلُّمًا، سواء حَصَّل الطالب العلم أو لم يُحصِّل؛ لأن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

وإذا أراد بالطريق الطريق الحقيقي المتمثل في السير حقيقة إلى مجالس العلماء، فالأمر فيه واضح، أما إذا أريد به الطريق المعنوي الذي يؤدي إلى

(١) ينظر بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين ، د/ عودة خليل أبو عودة صـ٦٦٠، رسالة دكتوراه في النحو العربي، دار البشير، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، ١٩٩١م.

(٢) ينظر الإيضاح للخطيب القزويني ١٢٨/٢ .

حصول العلم؛ كالعكوف على مدارسته وحفظه ومطالعته وفهمه وكتابته[١]، فحينئذ يكون الطريق الحقيقي مستعار للطريق المعنوي استعارة تصريحية أصلية.

ثم يخصص البيان النبوي الطريق المسلوك من خلال نعت النكرة بجملة: (يلتمس فيه علمًا)، فليس المقصود سلوك أي طريق، بل طريق مخصوصة هي طريق العلم والتعلم.

والبيان النبوي يُحَرّض طالب العلم على السعي، ويحثه على الجد والاجتهاد، ويؤهله لبذل النفس والنفيس، والتضحية والمثابرة، والعزيمة والاصرار في تحصيل العلم، وهذا ما تومئ إليه صيغة الالتماس دون الطلب؛ لما فيها من الإشعار بمعنى زائد على معنى الطلب؛ لأن الالتماس طلب باللمس[٢]، وهو اللصوق بإحساس[٣]، ولما كانت زيادة المبنى دالة على زيادة المعنى؛ فإن زيادة التاء توحي بالحرص الشديد، والرغبة القوية التي تلازم طالب العلم، ولا تكاد تفارقه؛ لإشعارها بالحالة التي يكون عليها طالب العلم عند طلبه، والتي ظهرت في صورة من يتحسس العلم أنى وجد السبيل إليه، وصيغة المضارعة تفيد الاستمرار في الطلب، وأن الالتماس هو دأب الطالب وشأنه الذي يلازمه ولا ينفك عنه بحال من الأحوال.

وقد أفاد شدة انغماس طالب العلم في طريق تحصيل العلم حين قيد المسند بالجار والمجرور (فيه)[٤]، وكأن العلم صار مستقرًا لطالبه، وهذا يوحي بالتفرغ وسع الطاقة في طلب العلم، والاجتهاد في تحصيله، والتشمير عن ساعد الجد؛ فالعلم يستحق بذل مهجة النفس؛ لأنه إرث الأنبياء؛ ولهذا جاء التنكير للمفعول

(١) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج ٤٢/ ١٩٢ .
(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري صـ٦٥ .
(٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي صـ٧٩٩ .
(٤) لدلالة (في) على الظرفية المجازية. ينظر الجنى الداني صـ٢٠٥ .

(عِلْمًا) فأفاد التعظيم والتفخيم لشأن العلم، ودل على العموم والشمول لكل نوع من أنواع العلم النافع للعالِم والمتعلّم.

وإيثار صيغة الماضي في جواب الشرط (سهَّل الله له طريقًا) للدلالة على تحقق التسهيل، وتيقن وقوعه، بالإضافة إلى أن إسناد التسهيل إلى الله . عزَّ وجلَّ . يفيد تعظيم التسهيل الحاصل في الجزاء في مقابل السلوك الحاصل في الشرط؛ لإفادة شدة الترغيب في فعل الشرط والتحريض عليه؛ لأن الله هو الذي تولى الجزاء عليه بنفسه، مما يبث مزيدًا من الثقة والطمأنينة في قلب طالب العلم، ويزيد من حثه وتشجيعه على الاستمرار في الطلب؛ لأن معنى تسهيل الطريق إلى الجنة أن يصحبه تأييد الله، ونصرته، ومعيَّته وحفظه، وكل هذا يشهد بعلو منزلة طلب العلم، وعظيم شرفه ومكانته.

ويؤيد هذا إيثار اللام[1] في الجار والمجرور (له) وتقديمه على المفعول (طريقًا) الذي يشعر بالاهتمام بالمقدم؛ لأنه الأوثق صلة بسياق الكلام؛ وهذا التقديم من الأسس التي بني عليها ترتيب المتعلقات[2]، وفي هذا إظهار لمنزلة طالب العلم، وإشعار بخصوصيته، وأن سلوكه هذا الطريق كان سببًا في تيسير الله له الطريق إلى الجنة.

وتنكير المفعول (طريقًا) يشعر بتعظيم هذا الطريق، وتفخيم شأنه، وتقييده بكونه طريقًا إلى الجنة لتخصيص الغاية التي ينتهي إليها هذا الطريق، وهي النهاية التي تطمح إليها النفوس العالية، وترنوا إليها الأبصار الناظرة، وهذا

---

(١) ينظر شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ٢ / ٣٦٤ ، تحقيق/ حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

(٢) ينظر خصائص التراكيب. أ/ د. محمد أبو موسى، صـ٣٦٧ ، مكتبة وهبة، الطبعة السابعة.

ما يدل عليه حرف الانتهاء: (إلى)[١].

وكان الجزاء من جنس الشرط في الطريق المسهَّل إلى الجنة والطريق المسلوك طلبًا للعلم؛ للدلالة على أن الجزاء من جنس العمل، وهذه قاعدة لا تتبدل، ومبدأ ثابت لا يتغير.

وهكذا كان لبناء المعنى في هذه الفضيلة أثر في فقه الغرض المقصود من البيان النبوي، وتمكينه في النفس، كما كانت دلالة المعنى في الفضيلة الأولى سبيلًا إلى المعنى في هذه الفضيلة؛ لأن طلب العلم شرف يرفع الطالب عن طبقة الجهلاء، وفوق ذلك هو إرث الأنبياء، وإذا كان الجهل كربًا وهَمًّا، فإن طلب العلم سيكون تنفيسًا لكرب الجاهل، ورفعًا لمشقة جهله التي غالبًا ما توقعه في المحظور، فيكون المتعلم نافعًا لنفسه أولًا، ونافعاً لغيره ثانيًا، ومن جهة أخرى فإن طلب العلم بإخلاص يورث صاحبه خشية الله وتقواه، والسعي لما فيه رضاه، وهذا يترتب عليه مراعاة الخلق، والشفقة عليهم، وهذا ما سعى إليه المبحث الأول من الحديث الشريف، وأكد عليه ورغَّب فيه المبحث الثاني بما اشتمل عليه من فضل طلب العلم.

(١) شرح الرضي على كافية ابن الحاجب صـ٣٨٥ .

المطلب الثاني

بناء المعنى في فضيلة مدارسة القرآن

****

لما كان الحديث في الفضيلة السابقة عن الترغيب في سلوك طريق العلم، وأن الله جعله سبيلًا إلى الجنة، ناسب هذا مجيء الحديث عن فضل الاجتماع على تلاوة كتاب الله، ومدارسته، والثواب المترتب عليه؛ لأنه إذا كان طلب العلم . بصفة عامة . طريقًا من طرق الفوز بالجنة، فإن طلب تَعَلّم كتاب الله ومدارسته . بصفة خاصة . من أعظم السبل التي توصِل المؤمن إلى الجنة؛ لأن العبد مهما تقرَّب إلى الله . عزَّ وجلَّ . فلن يتقرب إليه بأفضل من كلامه، ومهما بالغ في عبوديته لله بشتى ألوان الطاعات، سيظل التعبد بتلاوة القرآن ومدارسته في القمة من العبادات الأخرى؛ لأنه كلام الخالق.

وقد جاء بناء المعنى في هذه الفضيلة على صورة من صور الإطناب وهي عطف الخاص على العام؛ حيث عطف البيان النبوي فضيلة مدارسة القرآن، على الفضيلة السابقة: وهي طلب العلم، عطف الخاص على العام بقوله: **(وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ).**

فبعد أن رغَّب النص الشريف في طلب العلم النافع . بصفة العموم . ووعد السالك لطريق العلم بتيسير الله له طريقًا إلى الجنة، ناسب ذلك أن يعطف عليه طلب أفضل العلوم على الإطلاق، وأعلاها منزلة، وأنفعها للعبد في الدين والدنيا، وهو مدارسة القرآن وعلومه . بصفة خاصة . ولا شك في أن عطف الخاص على العام يورث الخاص مزيد عناية بشأنه، وتنبيهًا على زيادة فضله، حتى كأنه ليس

من جنسه؛ تنزيلًا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات[١].

كما بني المعنى في هذه الفضيلة على أسلوب القصر؛ حيث قصر صفة اجتماع قوم حالة كونهم يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم على هذا الجزاء وهو نزول السكينة عليهم، وغشيانهم الرحمة، وحفّهم الملائكة، وذكر الله إياهم فيمن عنده، قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا؛ مبالغة في عظم هذا الثواب، وترغيبًا في الاجتماع في بيوت الله على هذه الأحوال المذكورة، وإعلاءً لقدرها، وتفخيمًا من شأنها.

والسر في تأكيد الكلام بإيثار طريق النفي والاستثناء في القصر خاصة هو رغبة المتكلم في تأكيد مضمون كلامه، وإرادته أن يلقيه على مسامع مخاطبه مقررًا مؤكدًا كما أحسه هو، وأفعمت به نفسه، وتشبع به وجدانه.

وإيثار الماضي (اجتمع) رغبة في حصول هذا الاجتماع، حتى كأنه أمر واقع ومتحقق، والإخبار عنه في الزمن الماضي فيه حث وترغيب في سرعة الامتثال، والشروع والإقبال على تنفيذ الأمر المخبر عنه، كما تضفي صيغة الاجتماع على المعنى دقة وبلاغة؛ لما تشعر به من دلالة على الضم والجمع بدون الموافقة[٢]؛ فهؤلاء القوم قد اختلفوا في طباعهم وأخلاقهم، وتفاوتت طبقاتهم ومكانتهم الاجتماعية، ولكن جمعهم كتاب الله، وفي هذا دليل على إعجاز القرآن؛ لأنه استطاع أن يجمع شتات القلوب، ويوحد الأفئدة على غاية واحدة، وهدف واحد، هو مدارسة كتاب الله.

ويؤيد هذا تنكير (قوم) في سياق النفي الذي يفيد العموم؛ فيتضمن حصول الثواب لكل قوم اجتمعوا على مدارسة كتاب الله من غير اشتراط صفة

---

(١) ينظر الأطول للعصام، ٨٧/٢ .

(٢) الجمع بين الأشياء لا يقتضي التوافق بينها، بخلاف التأليف فإنه يقتضي الموافقة، قال تعالى: (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِم). ينظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري صـ١٦٧.

خاصة فيهم؛ مثل الزهد أو الصلاح أو العلم[١]، كما يضفي التنكير على المعنى لونًا من التعظيم والتشريف لهؤلاء القوم؛ لأن شرف المكان يشمل تشريف الجالسين فيه؛ وتنكير المجرور بـ(في) الظرفية: (في بيت من بيوت الله) قصد به العموم لكل بيت بُني ابتغاء وجه الله، وأريد بالجلوس فيه نشر دين الله، ومدارسة العلم وتعَلّمه وتعليمه، كما أفادت الإضافة في (بيوت الله) تعظيم هذه البيوت وتشريفها، ومن ثَمَّ إكرام الجالسين فيها وتعظيم شأنهم، وبيوت الله في أرضه هي المساجد، ويدخل فيها عموم كل ما أنشيء ابتغاء وجه الله؛ كالمدارس وما شابهها من أماكن مدارسة العلم النافع.

وذكر البيان النبوي حال[٢] هؤلاء القوم المجتمعين في بيت من بيوت الله بقوله: (يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ) فآثر صيغة المضارع في المسندين: (يتلون، ويتدارسون) للدلالة على تجدد هذه التلاوة والمدارسة لكتاب الله، حتى صارت ديدنهم، ودأبهم الذي لا يفارقهم؛ لشدة تعلقهم بكتاب ربهم.

وكان بناء المعنى على أسلوب القصر في هذه الفضيلة سبيلًا إلى ترسيخ المعنى في النفس، وتقوية المضمون وتثبيته في الذهن؛ تأكيدًا على أهمية فضيلة مدارسة كلام الله، وترغيبًا في الإتيان بها؛ لأن جملة القصر في قوة جملتين: إحداهما مثبتة، وهي الماثلة في منطوق الكلام المتمثل في الوعد بالثواب الجزيل وهو نزول السكينة وغشيان الرحمة وحفّ الملائكة وذكر الله إياهم، والأخرى

---

(١) ينظر الفتح المبين بشرح الأربعين لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري صـ٥٧٥، عني به: أحمد جاسم محمد المحمد، قصي محمد نورس الحلاق، أبو حمزة أنور بن أبي بكر الشيخي الدّاغستاني، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٨ م.

(٢) سوغ مجيء صاحب الحال نكرة لوقوع النكرة بعد نفي لأن الأصل فيه أن يكون معرفة. ينظر شرح التصريح على التوضيح ٥٨٤/١ .

منفية متضمنة للمفهوم من فحوى الكلام، وهي نفى الثواب المذكور عمن لم يجتمع في بيوت الله على هذا النحو المذكور في الحديث.

كما كان التشويق من خلال أسلوب القصر سبيلًا إلى تأكيد المعنى، وتثبيته وتحقيقه؛ من خلال تعدد القيود المتعلقة بالمقصور، فامتدت بذلك جملة المقصور، وهذا ما أوقع في نفس السامع . بسبب هذا الطول . التطلع إلى الوقوف على المقصور عليه الذي لا تتم الفائدة من الكلام إلا به.

والعطف بالواو بين هذه الجمل المقصورة والمقصور عليها لاتفاقها في الخبرية؛ توسطًا بين الكمالين، وهذا العطف يؤذن بالمغايرة، واستقلال كل جملة منها، والجمع بين هذه المعاني المتفردة، وإن كانت كل واحدة منها تكفي أن تكون مقصورًا ومقصورًا عليه، إلا أن البيان النبوي جمع بين هذه المعاني في الطرفين تعظيمًا لشأن هؤلاء المُلْتَفِّين حول كلام الله، وإكرامًا لهم؛ لأنهم اجتمعوا حول كتاب ربهم، فارتفعت منزلتهم، وعلا شأنهم، وارتقوا بين الخلق بمدارسة كلام الحق.

وإيثار الماضي في المقصور عليه: (نزلت، وغشيتهم، وحفتهم، وذكرهم) تنزيلًا لغير الواقع منزلة الواقع؛ لإفادة تحقق وقوع هذا الثواب، كأنه وقع بالفعل؛ لأنه وعد على لسان الصادق المصدوق، والتعريف بلام الحقيقة للمسند إليه في: (السكينة، الرحمة، الملائكة) تعظيمًا للمسند إليه، وإكرامًا وتشريفًا لهؤلاء القوم المجتمعين حول كتاب الله.

وأما جملة (نزلت عليهم السكينة) فقد بُنِي المعنى فيها على تقدُّم الجار والمجرور على الفاعل (السكينة)؛ للعناية والاهتمام بالمقدم؛ مبالغة في تعظيم أجر من يجتمعون على مدارسة القرآن، كما يُشعر هذا التقديم بشمول السكينة هؤلاء المجتمعين على كتاب الله وإحاطتها بهم، والسكينة: هي الطمأنينة والوقار،

وكل ما يحصل به صفاء القلب، وذهاب ظلمته بنور القرآن[١].

ومعنى حفتهم الملائكة: أحاطت بهم ملائكة الرحمة، أي طافوا بهم وداروا حولهم؛ إكرامًا لهم، وتعظيمًا لصنيعهم[٢]، كما في رواية أبي هريرة (رضي الله عنه) " إِنَّ لِلَّهِ . عَزَّ وَجَلَّ . مَلَائِكَةً فُضُلًا، يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ الذِّكْرِ، فَإِذَا مَرُّوا بِمَجْلِسٍ عَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى يَبْلُغُوا الْعَرْشَ..."[٣]، وإنما يفعلون هذا لاستماع الذكر؛ تعظيمًا للمذكور، وإعظامًا للذاكرين، على هيئة في غاية القرب والالتصاق بهم، حتى إنهم لم يتركوا فُرْجة للشيطان يتوصل منها إلى الذاكرين[٤].

وإسناد الذكر إلى لفظ الجلالة (وذَكَرَهم الله) فيه تعظيم لشأن هؤلاء المجتمعين على تلاوة كلام الله، وزيادة ترغيب لهم في الذكر، كما أن فيه تمتعًا وتبركًا بنطق الاسم الجليل، ولا شك في أن الاجتماع على تلاوة كتاب الله هو أفضل أنواع ذكر الله تعالى؛ لذا كان الجزاء من جنس الذكر، مع الفارق بينهما؛

---

(١) ينظر الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٦٣/٢٥ ، جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة هاشم محمد علي مهدي، مكة المكرمة، دار المنهاج، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩ م .

(٢) ينظر الكوكب الوهاج شرح صيح مسلم ٦٤/٢٥ .

(٣) والحديث بتمامه: " إِنَّ لِلَّهِ . عَزَّ وَجَلَّ . مَلَائِكَةً فُضُلًا، يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ الذِّكْرِ، فَإِذَا مَرُّوا بِمَجْلِسٍ عَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى يَبْلُغُوا الْعَرْشَ، فَيَقُولُ اللهُ . عَزَّ وَجَلَّ ـ لَهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ عِنْدِ عَبِيدٍ لَكَ، يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، وَيَتَعَوَّذُونَ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: يَسْأَلُونِي جَنَّتِي، هَلْ رَأَوْهَا؟ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ وَيَتَعَوَّذُونَ مِنْ نَارِي، فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا إِنَّ فِيهِمْ عَبْدَكَ الْخَطَّاءَ فُلَانًا، مَرَّ بِهِمْ لِحَاجَةٍ لَهُ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ اللهُ . عَزَّ وَجَلَّ .: أُولَئِكَ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " مسند الإمام أحمد، ٣٢٦/١٤، رقم (٨٧٠٥).

(٤) ينظر الفتح المبين بشرح الأربعين صـ٥٧٨ .

لأن ذكر الله لهؤلاء ثناء عليهم عند ملائكته المقربين ومباهاته بهم[١].

وكان لمراعاة النظير دور في بناء المعنى؛ فقد تناسبت المعاني بين الجمل الواقعة في حيز المقصور عليه: وهي نزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحف الملائكة، وذكر الله إياهم، وذلك في قوله: (نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)؛ وهذه الأمور المتناسبة يجمعها كونها صنف من أصناف الجزاءات المترتبة على الإتيان بالطاعات، وقد استدعى المعنى ذكرها على هذا النحو؛ لأن السكينة إذا نزلت على القلب اطمأن، وكأنه كان ثائرًا فسكن، ومضطربًا فهدأ، وهذا يستدعي نزول الرحمة، ومن شَملته رحمة الله كان من أهل الجنة، وهذا يستدعي أن تحيط بهم الملائكة، وتحفهم من كل جانب؛ لمحبتهم ذكر الله والذاكرين له، فهم مخلوقات نورانية لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وإحاطة الملائكة للذاكرين الله يستدعي أن يذكرهم الله فيمن عنده من أنبيائه الكرام، وملائكته المقربين بالثناء عليه، والمباهاة بهم، وهكذا تناسبت معاني الجمل الواقعة في حيز المقصور عليه، وصارت كل جملة تنادي على أختها، وتستدعيها لتشارك في بناء المعنى الكلي الذي يقصده البيان النبوي، ويحث عليه، ويرغب في المجيء به، وهو التحريض على الاجتماع على تلاوة كتاب الله، والحرص على فهم آياته وتدبر معانيه، والانشغال بمدارسته.

---

(١) ينظر الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ٦٤/٢٥ . ويؤيد هذا ما روي أَنَّ رَسُولَ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ . عَزَّ وَجَلَّ . يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ". صحيح مسلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ٢٠٧٥/٤ رقم (٢٧٠١).

ومن خلال هذه الدراسة التحليلية لبناء المعنى في هذه الفضيلة يتضح أن بناء المعنى كان سبيلًا إلى فقه المعنى المقصود، وطريقًا إلى ترسيخه وتثبيته في القلوب، كما كانت دلالة المعنى في الفضيلة السابقة: (طلب العلم) سبيلًا إلى المعنى في هذه الفضيلة: (مدارسة القرآن)؛ لأنها لون من ألوان طلب العلم، وجنس من أجناسه، فإذا كان طلب العلم النافع طريقًا إلى الجنة فإن طلب فهم كتاب الله، وتدبر معانيه أخص من ذلك؛ إذ هو من أفضل الطرق وأعظمها وأيسرها إلى الجنة، ومن جهة أخرى فإن المعنى في هذه الفضيلة يدخل ضمن المعنى في الفضيلة الأولى: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ...) من أحد الوجوه؛ وهو أن العلم بكتاب الله، ومعايشة معانيه، واستحضار العبد أوامر الله ونواهيه عند مدارسة كتاب الله، تجعل حياة المؤمن مغمورة بنور الله لمرافقة كتابه، وبهذا يرتفع عنه كربة الجهل؛ لأن العلم بكتاب الله يرفع هذه الكربة.

المبحث الثالث

بناء المعنى في فضيلة الترغيب في علو الهمة

****

وفي ختام البيان النبوي الذي سعى من بدايته إلى الحث على فضائل وخصال من شأنها أن تؤلِّف بين أفراد الأمة الإسلامية، وتجمع شتات قلوبهم، وتوَحِّد صفوفهم؛ ليعم الخير أفراد المجتمع الإسلامي، وتنتشر مكارم الأخلاق التي هي الغاية من بعثة المصطفى (ﷺ) حيث قال: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاق"[١] . يؤكد البيان النبوي في ختامه على فضيلة إذا وُجِدت كان الإتيان بالفضائل السابقة يسيرًا، وإذا انعدمت عجز العبد عن الإتيان بأيٍ من هذه الفضائل، ألا وهي علو الهمة.

وبناء المعنى في الختام على هذه الفضيلة هو الملائم للمقصد الأعظم للحديث الشريف، وهو إحياء معنى التكافل بين أفراد المجتمع، والحث على العمل النافع الذي يعود نفعه على الآخرين؛ لأن الإسلام دين يدعو إلى المسارعة إلى الخيرات، والتسابق إلى الطاعات، والتنافس للوصول إلى أعلى الدرجات، ولن يتحقق هذا إلا إذا امتلك المؤمن هِمَّة عالية تطمح إلى المعالي، وتدفع إلى ركوب الأهوال، وتخطي الصعاب، هِمَّة تهدي قلبه، وتُوَحِّد هدفه المتمثل في رضا رب الأرباب، ولهذا فقد ناسب المعنى أن تُخْتَم الفضائل السابقة بهذه الفضيلة في قوله (ﷺ): (**وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**)، وكان بناء المعنى عليها سبيلًا إلى فقه الغرض، وفهم المقصود.

والمراد بقوله: (وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ): أن من نقص عمله وكان سيئًا؛ بحيث يجعله بطيئًا ولم يصل إلى رتبة أهل التقوى والعمل

(١) الأدب المفرد للإمام البخاري، صـ١٠٤، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩م.

الصالح فلا يَحِق له الاتكال على شرف النَّسب وفضل الآباء في الوصول إلى الجنة[١].

وبناء المعنى على أسلوب الشرط من سمات هذه الفضيلة، وهو الأنسب بالمقام والسياق؛ فالمقام هنا مقام نصح وإرشاد، وتوجيه وتعليم للصحابة . رضوان الله عليهم . وللأمة الإسلامية، وأما السياق فقد جاء يدعو إلى علو الهِمم، وصدق العزائم، وإخلاص النوايا، وعدم الاعتماد على شرف النسب أو منزلة الآباء في تحصيل الثواب الذي يرتقي بالمؤمن أعلى الدرجات؛ لذا كانت هذه الفضيلة خير ختام للفضائل السابقة؛ لأنها طوت بين ألفاظها إجمالًا للغاية من البيان النبوي السابق في تفصيل الفضائل السابقة؛ فهي دعوة للمؤمن إلى أن يكون عالي الهِمَّة، قوي العزيمة، ماضي الإرادة؛ لأن هذا هو السبيل لتحقيق الفضائل السابقة؛ لتعدي نفعها في الغالب الفرد إلى المجتمع، وهذا ما يقوِّي العزائم نحوها، ويدفع النفس إلى الإقبال عليها وتحصيلها.

وكشأن الفضائل التي بُنِي معناها على أسلوب الشرط تصدرت (مَنْ) الشرطية التي تفيد العموم ليندرج تحتها كل من يتأتى مخاطبته بالفعل، ومجيء الشرط ماضيًا لإنزال غير الواقع منزلة الواقع؛ لأن الفعل المعبَّر عنه بلفظ الشرط مما يكثر حدوثه[٢]؛ وذلك لأن المرء إذا كان رفيع النَّسب، ذا حسب ومكانة بين الناس فإنه كثيرًا ما يعتمد على فضائل آبائه، وشرف أنسابه؛ فتجده يترك العمل ويُقَصِّر فيه، معتمدًا في ذلك على رفعة نسبه، ودلالة تضعيف عين الكلمة توحي بشدة البطء المؤدي إلى تأخر السعي، وتقديم الجار والمجرور (به) على

(١) ينظر فتح المنعم شرح صحيح مسلم. أ. د/ موسى شاهين لاشين، ٢٥٣/١٠ ، دار الشروق، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م، وينظر أيضا الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ٢٥/ ٦٤ .

(٢) ينظر معاني النحو. أ.د/ فاضل صالح السامرائي، ٥٧/٤ ، دار الفكر، الطبعة الخامسة الشرعية، ٢٠١١ م، ١٤٣٢هـ .

المسند إليه (عمله) يؤكد معنى التقصير ويقرره، ويُظهر أنه السبب في إساءة العمل واستحقاق المذمة؛ لما تشعر به الباء من معنى السببية[١].

ولعل ظهور جملة الشرط في ثوب الكناية هو الأوقع في الدلالة على التقصير في العمل، وعدم الأخذ في الاعتبار بصلاحه؛ اتكالًا على شرف النسب؛ إذ استطاعت الكناية أن تُثبِت بالدليل أن السبب في سوء العمل هو التقصير والتباطؤ في مراعاة صلاحه، وأن شرف النَّسب والحسب لن يُجدي معه التقاعس والتباطؤ عن إدراك الصالحات.

هكذا كان بناء المعنى في هذه الفضيلة داعيًا إلى فقه مقصدها وترسيخه في الأذهان، وتثبيته وتمكينه في النفوس؛ لأنه كان سبيلًا إلى الحث على التحلي بها، والترغيب فيها، والتحريض عليها؛ إذ أبرز قيمة اعتماد المرء على عمله، وعدم اتكاله على مجد آبائه، وشرف أنسابه.

ومن جهة أخرى فإن دلالة المعنى في هذه الفضيلة ناسبت دلالة المعنى في الفضائل السابقة؛ لأن الدافع إلى المجيء بها والغرض الذي ترمي إليه واحد، فهي تدعو إلى التكافل بين أفراد المجتمع، والحث على التسابق إلى الخيرات التي من شأنها بناء مجتمع إسلامي قوي، يتعاون أفراده على البر والتقوى، يُنَفِّس بعضهم كربات بعض، ويأخذ الغني منهم بيد الفقير، وييسر الموسر على المعسر، ويستر المسلم عورات أخيه وزلاته، تنطلق طائفة منهم في طلب العلم لترفع الجهل عنهم، ويجتمعون حول كتاب الله الذي هو سر سعادتهم، فهذه الفضائل التي سعى البيان النبوي إلى ترسيخها في الأذهان، والترغيب فيها، والمسارعة إليها، وتحقيقها تتطلب علو الهمة، وصدق العزيمة، والسعي الدؤوب، والحرص الشديد، والجد والإخلاص في العمل، وعدم الاعتماد على شرف النسب، ومجد الآباء والأجداد.

(١) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني صـ٣٩ .

الخاتمة

****

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وبعد السير في رياض البيان النبوي، وتحليق الروح بين سمو معانيه ورونق ألفاظه، آن للبحث أن يجني بعض ثماره، والتي تتمثل في أهم النتائج التي توصل إليها، وهي كالآتي:

١- تُعَدُّ دراسة بناء المعنى والكشف عن سماته البلاغية سبيلًا إلى فقه مقاصد البيان النبوي واستنباط أغراضه، وهذا يؤكد تلاحم أجزاء النص الشريف، ووحدة معناه، واتحاد تراكيبه في التعبير عن الهدف الذي سيق لأجله، والغاية التي سعى إليها.

٢- تضافرت وسائل بناء المعنى في البيان النبوي، وتنوعت الأساليب ما بين الشرط والقصر والأسلوب الخبري، والإيجاز تارة والإطناب أخرى، كما أسهمت الاستعارة والكناية بدورهما في بناء المعنى، وغير ذلك من الوسائل التي كان لبناء المعنى عليها أثر في فقه مقاصد البيان النبوي، وترسيخ معناه في النفس، وتحقيق غاياته وأهدافه.

٣- كان لأسلوب الشرط النصيب الأعظم من الأساليب التي بُنِي عليها المعنى في الحديث النبوي . محل الدراسة .؛ لأنه من أقدر الأساليب على جذب المخاطب، ولفت انتباهه، واستمالته برفق، والأخذ بمجامع قلبه؛ من خلال التشويق والإثارة الذي يعد سمة من سماته، كما أنه يوحي بتعانق المعنى وتعاضده وقوة ترابطه؛ لما بين الشرط والجزاء من تلازم وارتباط؛ لتوقف حصول الثاني على الأول، ووقوع الثاني مسببًا عن الأول.

٤- حرص البيان النبوي على الترغيب في الفضائل المذكورة والحث عليها؛ لذا كثر إيثار صيغة الماضي في جملة الشرط؛ للدلالة على شدة الرغبة في تحققها، وقوة الحرص على المجيء بها، فأبرز غير الواقع في صورة المتيقن

الحصول، كما أوثرت (مَنْ) الشرطية من بين أدوات الشرط للأسباب التي أوضحتها الدراسة.

٥- أغلب الفضائل التي سعى البيان النبوي إلى الترغيب فيها من خلال الشرط كان جواب الشرط فيها من جنس فعل الشرط، كما أُسنِد الجزاء المترتب عليها إلى الله . عزَّ وجل .؛ فقد تكفَّل الله بالثواب عليها، واندرجت تحت قاعدة الجزاء من جنس العمل، ولما كان الجزاء عليها من الكريم جاء مضاعفًا .

٦- يُعَد عطف الخاص على العام والعكس من أبرز الوسائل التي بُني عليها المعنى في الحديث الشريف، وكان لها أثر في تناسب دلالاته، وتوحيد غاياته، وتماسك عناصره وأجزائه؛ لأنه وسيلة من وسائل التماسك في الكلام، وطرائق الربط بين أجزائه.

٧- خرجت الفضائل المذكورة في البيان النبوي مخرج الأسلوب الخبري الذي وضع موضع الإنشاء؛ إذ هي في الأصل أوامر خرجت في صورة الخبر؛ وذلك مبالغة في الحث على الامتثال، والمسارعة إليه، حتى كأن السامع امتثلها، وشرع فيها وقت الطلب؛ لشدة رغبة الآمر، وحرصه على تحقيق المأمور به.

٨- كان بناء المعنى في كل فضيلة من فضائل الحديث النبوي داعيًا إلى تمكين الغرض المقصود منها في النفس، وتعميق أثره في القلب، وترسيخ دلالته في الذهن، وقد تشابهت الفضائل المذكورة في الحديث الشريف في صفاتها، واتحدت في أهدافها وغاياتها، كما تناسبت دلالات معانيها، وانتظمت كحبات اللؤلؤ في العقد حتى ظهرت في صورة متكاملة تنبئ عن شدة تمازجها، واتحادها في التعبير عن المقصد والغاية منها.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المصادر والمراجع

****

- القرآن الكريم.
- الأدب المفرد للإمام البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩م.
- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للعصام، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٥ م.
- الإيضاح للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة .
- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى،١٤٢٦هـ.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ، ١٩٥٧ م.
- بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، د/ عودة خليل أبو عودة. رسالة دكتوراة في النحو العربي، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ، ١٩٩١م.
- البيان والتبيين للجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
- التعريفات للجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- الجامع في شرح الأربعين النووية لأبي عبد الله محمد يسري، دار اليسر، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- الجنى الداني في حروف المعاني. للمرادي، تحقيق/ د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.
- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية د/ كمال عز الدين علي السيد، دار اقرأ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- حركة المعنى في سورة الفجر دراسة بلاغية. أ. د/ إبراهيم صلاح الهدهد، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٩م.
- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني. أ/ د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة السابعة.
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- روائع من أقوال الرسول ﷺ. دراسات أدبية ولغوية وفكرية. تأليف/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة السادسة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،

صيدا، بيروت.

- سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م.
- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية لابن دقيق العيد، مؤسسة الريان، الطبعة السادسة، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
- شرح التصريح على التوضيح. تأليف/ خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م.
- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب. تحقيق / حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م .
- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣ م.
- الفتح المبين بشرح الأربعين لأحمد بن محمد بن علي الهيتمي السعدي الأنصاري، عني به: أحمد جاسم محمد المحمد، قصي محمد نورس الحلاق، أبو حمزة أنور بن أبي بكر الشيخي الدّاغستاني، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٨ م.
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم. أ. د/ موسى شاهين لاشين، دار الشروق،

الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م،

- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق/ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .
- الكاشف عن حقائق السنن = شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، لشرف الدين الحسين الطيبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- كتاب الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم. تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الكليات لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله العَلَوي الهَرَري الشافعي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة هاشم محمد علي مهدي، مكة المكرمة، دار المنهاج، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩ م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لنور الدين الهروي القاري، دارالفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.
- معاني النحو. أ. د/ فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الطبعة الخامسة الشرعية، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
- المفاتيح في شرح المصابيح للحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ المشهورُ بالمُظْهِري، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين

بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢ م.

- مفهوم المخالفة كتاب أصول الفقه لابن مفلح، حققه وعلق عليه وقدم له: د/ فهد بن محمد السَّدَحَان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م.
- المقتضب للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- نظم الدرر للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، بدون تاريخ.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٨٤٧
المقدمة	١٨٤٩
التمهيد:	١٨٥٣
أولًا: أهمية المعنى وارتباطه بالدرس البلاغي.	١٨٥٣
ثانيًا: فضل الحديث الشريف وبيان مقاصده.	١٨٥٧
المبحث الأول: بناء المعنى في فضيلة الترغيب في الشفقة على خلق الله.	١٨٦٠
المطلب الأول: بناء المعنى في فضيلة تنفيس المكروب.	١٨٦١
المطلب الثاني: بناء المعنى في فضيلة التيسير على المعسر.	١٨٦٩
المطلب الثالث: بناء المعنى في فضيلة ستر المسلم.	١٨٧٤
المطلب الرابع: بناء المعنى في فضيلة إعانة المسلمين.	١٨٧٨
المبحث الثاني: بناء المعنى في فضيلة الترغيب فيما يُورِث الخشية من الله.	١٨٨١
المطلب الأول: بناء المعنى في فضيلة طلب العلم.	١٨٨٢
المطلب الثاني: بناء المعنى في فضيلة مدارسة القرآن.	١٨٨٧
المبحث الثالث: بناء المعنى في فضيلة الترغيب في علو الهمة.	١٨٩٤
الخاتمة	١٨٩٧
المصادر والمراجع	١٨٩٩
فهرس الموضوعات	١٩٠٤